ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

Phone : 42948

Regd No LW/NP39

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat - ul - Ulama LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

بين الدين و المدنيـة

حاولت الفلسفات و المدنيات والحضارات العالمية أن تحل ألغاز الحياة، وتدخلت عبر التاريخ الطويل فى شئون خارجة عن نطاقها . . و حملت على نفسها عبئاً ثقيلا لا تطيقه و كانت نظير قوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيـه و إذا أظلم عليهم قاموا » « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » . . ولم ينجح فى هذا المضمار إلا الدين بأوسع معانيه ، و أعمق مفاهيمه . . . و ذلك ما يعبر عنه القرآن بقوله البليغ ، يحكى عن النبى ﷺ ، « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

كيف يحل الدين و نور النبوة ألغاز الحياة ؟ و لماذا تخفق هـذه الفلسفات الهامة - مرة بعد مرة - و تبدو كالمحاولات الصبيانية إلى جانب الهدى النبوى ؟

أقرأ القصة ببلاغة وإيجاز ، و هى تتسم برزانة علمية ودراسة هادفة و رؤية فكرية واضحة فى كتاب :

بين الدين و المدنيـة

للمفكر الاسلامى الكبير سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

أطلبوا من المكتبات الاسلامية فى البلاد العربية .

Printed by S. M. Hsrni at Nadwa Press Lucknow

البعث الإسلامي

دعوتنا

[نحن ندعو إلى الاسلام الكامل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، و ينير العقول ، و يشعل مجامر القلوب ، و يهذب الأخلاق ، و ينظم الحياة ، و يضبط الأمم ، و يقود المدنية ، و يشعل المواهب ، و ينشئ الرجال ، و يربى القادة و العباقرة ، لا هو جاف خشيب ، و لا هو رقيق مائع ، و لا هو رهبانية و هجر للدنيا ، و لا هو مادية و نهامة للحياة ، إنما هو الدين الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - و نطق به القرآن ، و تمثل فى حياة الصحابة ، و القرون المشهود لها بالخير ، و التابعين لهم باحسان ، من الجامعين بين العقل و القلب ، و العقيدة و العمل ، و الجهاد و الربانية]

أبو الحسن على الحسنى الندوى
(« الاسلام المنتخب » ص : ١٥)

رئاسة التحرير

محمد الحسني — سعيد الأعظمي

● العدد الثامن ● المجلد الثالث والعشرون

● جمادى الأولى ١٣٩٩هـ ● أبريل ١٩٧٩م

في .. هذا العدد

المطامع الماركسيه
في باكستان ، و افغانستان و إيران ودول الخليج — سعيد الأعظمي الندوى — ٣

التوجيه الاسلامى

فاتحة القرآن أكبر إعلان للتوحيد — الأستاذ الكبير المرحوم عبد الماجد الدريابادى — ١٠
تصوير المدينة عند الهجرة — سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى — ١٧

الدعوة الاسلامية

حكم الاحتفال بالموالد — سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز — ٢٨
المعارضون للدعوة النبوية — فضيلة الشيخ أمين أحسن الاصلاحى — ٣٣

دراسات وابحاث

قدامة بن جعفر الكاتب — الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصومى — ٤٧
بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى — الأستاذ محمد تقى الأمينى — ٥٨

الثقافة الاسلامية فى الهند

ندوة العلماء و دورها الطليعى فى تعميم اللغة العربية — سعيد الأعظمى الندوى — ٦٧

العالم الاسلامى

صور و أوضاع : هذه الانتفاضة الاسلامية — محمد الحسنى — ٨٣
أ أترك سنة حبيبى لهؤلاء الحمقاء ؟ — » » — ٨٤
لقاءات و مشاهدات فى رحلة علمية — سعيد الأعظمى الندوى — ٨٧
معهد إسلامى كبير فى مدينة جيفور — « قلم التحرير » — ٩٧
مرحبا بشيخ الأزهر الجديد — ... — ٩٧
معالى نائب وزير الحج السعودى يزور ندوة العلماء — ... — ٩٩
صدر حديثاً — ... — ٩٩
مرحبا بالوميلة العزيزة — ... — ١٠
سماحة الشيخ الندوى يعود فى سلامة الله — ... — ١٠٠

المطامع الماركسية

فى باكستان ، و أفغانستان و إيران و دول الخليج

للماركسية أزياء كثيرة مختلفة الألوان و الأشكال تتزيأ بها حسب ما يوحى إليها الجو و ما يطلبه المناخ السياسى و الاجتماعى ، شأن الداهية الألمعى الذى يستسلم أمام الظروف و يصطلح مع الأوضاع تحقيقاً لمآربه ، على أنه لا يحيد قيد شعرة عن قصده ولا عن عقيدته بل إنه يعرف أن التوصل إلى الغاية المتوخاة لا يتم إلا بهذا الطريق ، و هو طريق الحكمة ، والأناة والحلم ، أما طريق التسرع و الثورة و الغضب والسخونة فلا يساعده البتة فى نيل الغرض وإدراك المطلوب .

و من الذى لا يدرى أن الماركسية لها أبعاد سياسية عميقة الجذور ، وأكبر هدف تسعى لترسيخ أصوله هو القضاء على العقيدة الدينية و الفضائل الخلقية التى ينادى بها المتدينون و الاسلاميون ، و هى تبلغ من التطرف فى فرض نظريتها إلى حد تتجرد فيه عن كل رحمة و هوادة ، و تمارس كل قسوة و وحشية وإرهاب ، و من جربها فى تاريخها العملى و فى مهدها الاتحاد السوفياتى صدق أن ما نقوله حق وأنها عصابة تتزيأ بالزىء المناسب فى الظروف الخاصة ، حتى إذا تم لها ما أرادت و استتب لها الأمر عادت إلى جلدها الأصيل و ظهرت فى شكلها المخيف .

لهذه العصابة مطامع واسعة من التوسع فى الأرض والسيطرة على ثرواتها بحراً وبراً ، والاستيلاء على مقاليد الحكم فى كل جزء من أجزاء العالم تنفيذاً لتعاليم ماركس

و تعميقاً لقواعد الشيوعية من البلشفية ، والاشتراكية المزعومة فى الحقوق الانسانية و المساواة الاجتماعية فى الحياة .

و منذ أن تصاعد المد الاسلامى فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى فى باكستان و تركيا و إيران و أفغانستان و دول الخليج مثلا و تنمى فيها الشعور الاسلامى قلقت له الماركسية و رأت فيه هدماً لأحلامها وتقويضاً لأركان مطامعها الاستيلائية على آبار البترول و المناجم الطبيعية و الثروات المعدنية التى تزخر بها هـذه البلاد ورأت أن المخطط الماركسى يكاد يبوء بالفشل إذا لم تتدارك الأمور، وهى لم تستبعد أن ترتمى هذه الدول إلى أحضان معسكر آخر أو ينقـذها الاسلاميون من أيدى اليمين و الشمال و يستبدوا بها باقامة حكم الاسلام أو تطبيق الشريعة الاسلامية فيها كما ظهرت تباشيره فى عدة دول الشرق الاسلامى .

لقد كان الهتاف باقامة الحكم الاسلامى يملأ الأجواء فى عـدة دول و سيما فى باكستان التى تنفست بعـد طول الاختناق و نالت الحرية الصحيحـة فى قيادة الرئيس المسلم ، و قامت فيها دولة اتحادية موالية للاسلام و الحكم الاسلامى مأة فى مأة ، و ضرب الرئيس المسلم باقامة المحاكم الشرعيـة كخطوة أولى مثلا رائعاً فى ١٢ ربيع الأول ١٣٩٩هـ و شق به الطريق فى خضم هذا البحر الهائج المائج من الأفكار الزائغة و الحضارة المادية إلى تطبيق الشرعية الاسلاميـة على الحياة والمجتمع ، وبالتالى إلى تأسيس دولة إسلامية مستقلة باذن الله تعالى وتحكيم الشريعة بكاملها فى جميع المجالات و القطاعات .

و لا ينبغى أن نمر بهـذا الحادث الكبير عابرين مسرعين بل و لا بد من الوقفة الطويلة عليه ، و التفكير فيما إذا وفق قائد مسلم فى هذه الأوضاع الصاخبة إلى مثل هذه الجرأة النادرة ، والقيام بهذا الدور البطولى العظيم فى صالح المسلمين

خزينة الكتب لدى العلماء

و تحقيق الحلم بقيام دولة إسلامية على وجه هذه الأرض فى أقرب وقت بأمر من من الله العلى القدير .

ألم يكن هذا الاقدام الجريئ مبعث قلق عظيم للعدو المتربص بالفرص ، الذى يحلم ببسط نفوذه على أكبر قطعة من الأرض و خاصة ترسيخ أقدامـه القذرة فى جنوب شرق آسيا الذى يفيض بمنابع البترول وبالثروات الغنية من كل نوع ، والذى كان يعد لذلك إعدادات هائلة من زمن طويل ، و كان يتوقع أن ينجح فى مخططاته العدوانية و يثمر غراس جهوده فى أقرب وقت إذ فوجئ بخيبة مريرة و رأى أن القضية لم تعد فى إطارها المطلوب و تعدت إلى وجهة أخرى إسلامية .

أحس العدو الماركسى بتصاعد الشعور الاسلامى فى شعب هذه الدول المسلمة وإلحاحه على تحكيم شريعة الله ، إنه أحس بما يريده الشعب الأفغانى والشعب الايرانى فى هذا القطاع من العالم الاسلامى من إقامـة حكم الاسلام و الحرص على تطبيق الشريعة فأسرع إلى تضييق الحصار على الشعب الأفغانى و دبر مؤامرة لقلب نظام الحكم فيها باحداث ثورة دموية ساخنة ذهب ضحيتها الأسرة الحاكمة بأسرها وكثير ممن رفضوا الماركسية أو أنكروا الثورة و قد أيد الماركسيون الاسلاميين بهذه المناسبة ممن كانوا يبغضون داؤد دخان وحكمه فى أفغانستان وذلك لمجرد كسب التأييد وإنجاح الثورة و الاستيلاء على الحكم ، فلما استتب لهم الحل و العقد ، و تمكنوا من زمام الحكم بدأوا يمزقون الشعب المسلم و يضربون علـماء المسلمين الذين أبوا إلا حكم الاسلام بالحديد و النار ، و قتلوهم من غير رحمة و بقسوة منعدمة النظير ، ولكن الثورة ضد هؤلاء الطغاة لم تنطفىء نارها و هى تندلع فى قمم الجبال وعقر الديار ، و سوف تكتسحهم باذن الله و تتوقد جذوة الايمان فى يوم من الأيام « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره و كره الكافرون »

و لما رأى الماركسيون أن إزاحة الشاه و إطاحة حكمه تتطلب تأييداً ضخماً

من الشعب الايرانى بأسره و رأوا أن الاسلاميين هم حاملو لواء الثورة ضده فلم يتلكأوا فى تأييدهم مأة فى المأة و لم يكن ذلك باخلاص منهم ، فقد ظهر ذلك النفاق بعد رحيل الشاه و انتقال الحكم إلى أيدى الاسلاميين . و قد تسنى لهؤلاء الانتهازيين الماركسيين نهب السلاح و السيطرة على كمية هائلة منه فى غمار الانقلاب و قلاقل الثورة ، و هم الذين يعارضون الجمهورية الاسلامية أن تقوم فى إيران و يحولون دونها هذه الأيام اعتماداً منهم على الأسلحة التى اختلسوها من الثكنات و المستودعات ، و إن كان المسئولون عن الحكم الحالى فيها قد وجهوا إليهم إنذراً و لكنهم لا يزالون يقلقون الوضع و يثيرون العنصر المعادى ضد قيام الجمهورية الاسلامية .

و هكذا دأبهم فى كل مكان لهم فيه تطلعات و مطامع ، يندسون فيه إلى صفوف الأغلبية ويضمون أصواتهم إلى أصواتها مطالبين كل ما تطالب تلك الأغلبية و متظاهرين بكل ما تتظاهر به هى ، و إن لهؤلاء الانتهازيين نشاطاً ماثلا فى جميع دول الخليج و دول النفط و دول المسلمين التى يسيل لعابهم على ما فيها من ثروات و غناء ، و ذلك لأن طبيعتهم المادية الجشعة تنقب فى كنوز الأرض و صناديق الأموال و جيوب الناس وتتحيل لاختلاس ما فيها من مال و متاع بكل طريق تمكن ، و إن كلف ذلك تغيير أزيائهم و أشكالهم لوقت أو زمن .

بهذه الحيلة تم لهم النجاح فى السيطرة على أجزاء الوطن الاسلامى والاستيلاء على مقاليد الحكم فيه ، و هم فيما يفعلون فى ثرواته و ذخائره و ما يتصرفون فى مناجمه و معادنه باشارة من أسيادهم الحمر أو الصفر معلوم واضح ، و أولئك هم الذين يدعون بالمساواة الاجتماعية و ينادون بحقوق العمال و إتاحة الفرص لجميع أفراد الشعب على السواء ، و إزالة الفرق بين الصغير و الكبير و الحاكم و الرعية و لكنهم هم الذين إذا استتب لهم حكم فى بلد و تولوا زمام الأمر فيه تكبروا وتمرروا على الشعب و عاشوا عيشة الامبراطوريين و الملوك الجبارين ، وسعوا فى

الأرض فساداً وأهلكوا الحرث و النسل ، وصدق عليهم قول الله سبحانه و تعالى « وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لايحب الفساد » .

إنها هتافات ليس وراءها أى معنى ، هتافات الحقوق و الحرية و المساواة تزوير و بهتان ، و قد أخفقت الماركسية فى مهدها و لم تتمكن من إنجاز أى وعد أو تحقيق أى مبدأ من المبادىء التى تعلنها وتصرح بها وتقيم عليها صروح الأحلام و الآمال ، إنما هو تضليل البسطاء من الناس و السذج من الطبقات الكادحة ممن يثورون على كل من هو فوقهم فى الحياة الاجتماعية أو الفردية نظراً إلى مركب نقص يعيش فى شعورهم و شعور بالهوان يسرى فى نفوسهم .

هذه الماركسية القاسية الظالمة التى لا تملك ذرة من رحمة و عطف و لين و التى تعبر عن عصابة من المجرمين القساة الغلاظ ، لا تهدف إلا التوسع و السيطرة و الاستيلاء على الخزائن و الأموال من غير حق ، و هى تتطلع اليوم بجشع بالغ إلى ما فى وطننا الاسلامى من قدرات إنسانية ، و ثروات طبعية ، و ذخائر أرضية ، و لا تالو جهداً فى اتخاذ الطرق التى تضمن تحقيق أحلامها ، و لا تبالى إذا كلفها ذلك تغيير الأزياء و وجهات النظر ربما تتسنى لها السلطة ، و ينتقل إليها الزمام .

ولكن الشئ الذى أقض مضاجع الماركسية اليوم وأقلق بالها هو تلك اليقظة الدينية أو الانتفاضة الاسلامية التى بدت طلائعها فى الوطن الاسلامى شرقاً و غرباً و صار لها أنصار و دعاة يقومون بنشاط موسع فى جميع المجالات الحيوية ، فمن صفوف الطبقة الكادحة والعامة إلى صفوف الحكام والوزراء يوجد هؤلاء الاسلاميون المتحسون والمخلصون الذين يرجع إليهم الفضل فيما يرتفع اليوم من أصوات لتحكيم الشريعة و تطبيق القوانين الاسلامية فى جميع البلدان الاسلامية ، و ما يتربى فى نفوس الحكام و القادة المسلمين من شعور قوى بأن المشكلات و الأزمات السياسية

و الاجتماعية التى يعيشها العالم المعاصر لا يمكن حلها إلا فى أحكام و تعاليم الاسلام وحدها بعد ما فشلت جميع النظم و النظريات فى إيجاد حل لها صحيح .

و إن الاتحاد السوفياتى حينما يتظاهر بالمعارضة لاسرائيل ورفض وجودها فى فلسطين فانه لا يفعل ذلك عن عقيدة بل لكسب تأييد الدول العربية و تأكيد أنه صديق لها مخلص وفى ، على أن الحقيقة بالعكس من هذا فان الاتحاد السوفياتى يهودى النزعة يهودى السياسة ، وفى صفوف زعمائه وقادته الكبار يهود متعصبون يدعمون الكيان اليهودى فى فلسطين ، ولكنه نوع من سياسية الماركسية ذات الأزياء و الوجوه المتعددة ، و إن اليهود و الماركسيين أشد الشعوب قلقاً و اضطراباً لما ظهر فى إيران من ثورة إسلامية ، و لما ظهر فى كل دول الشرق من تباشير الانتفاضة الاسلامية التى تبشر بأن المستقبل للاسلام و أن العاقبة للمسلمين المؤمنين .

إن أحداث إيران التى تمخضت عن تصاعد التيار الاسلامى و أوحت إلى تأسيس جمهورية إسلامية ، و ما تم فى باكستان من إقامة المحاكم الاسلامية والعودة فى القضايا الجنائية إليها كخطوة أولى لتأسيس دولة إسلامية ، وما يقوم فى أفغانستان من ثورة و جهاد ضد الحكم القائم هناك ، و ما يوجد فى تركيا و دول الشرق الاسلامى من تيار إسلامى عارم ، كل ذلك حافز للماركسية الشيوعية على مضاعفة جهودها التوسعية و محاولاتها الهدامة ضد هذه الشعوب المسلمة و حكامها المسلمين .

فلكن على حذر تام مما تدبره أصابع الفساد و التضليل ضد هذه الروح الدينية و توقيف هذا المد الاسلامى ، و الحد من نشاط الاسلاميين فى هذه المناطق بالذات ، و كل ذلك من وراء الستار و بتغيير الأزياء و الأشكال ، و التظاهر بالمودة و الاخلاص ، و الله سبحانه و تعالى يقول :

« كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا و لا ذمة ، يرضونكم بأفواههم و تابى قلوبهم ، و أكثرهم فاسقون » ؟

سعيد الأعظمى

التوجيه الإسلامى

على مائدة سورة الفاتحة :

فاتحة القرآن أكبر إعلان للتوحيد

بقلم : الأستاذ الكبير المرحوم عبد الماجد الدريابادى

« معرب »

سورة الفاتحة و إن كانت قليلة الكلمات قصيرة الحجم ، و لكنها بحر زاخر بالنسبة إلى المعانى و الشمول ، حتى اضطر المعاندون إلى الاعتراف بإعجازها على الايجاز ، فقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية .

« هذه المناجاة العظيمة التى تنطوى على الحمد للبارىء - بالاضافة إلى أنها حافلة بالمعانى - أوضح ما يكون ، فهى فى غنى عن إيضاح مزيد » (١) .

ولم يكن من مجرد الصدفة - بل دل على معنى دقيق - أن جاء فى القرآن الكريم من أسماء الله الصفاتية الكثيرة بعد اسمه الذاتى - الله - مباشرة ، اسما « الرحمن » و « الرحيم » و لذلك فيقول « لين بول » (Lane Poole) أحد الانجليز موجهاً خطابه إلى قومه :

« إن الناس دائماً ينتاسون أن يلاحظوا مدى التأكيد و الاهتمام الذى أولاه القرآن صفة « الرحمة » .

(١) دائرة المعارف البريطانية (Encyclopeadia Britanica) ج ١٥ ، ص ٩٠٣ طبع ١٩١١م

و قارن كلمة الاسلام التوحيدية الخالصة هذه بفقرة المسيحية الافتتاحية « باسم الأب والابن وروح القدس » أفهل هناك نسبة بين هذا الشرك الجلى وبين التوحيد الخالص فى الاسلام ؟ ! و ربما يخطر ببالى أنه يمكن أن المسيحية حولت رحمانية و رحيمة الخالق الأكبر إلى الابن و روح القدس ممسوختين .

[العالمين] .

و العالمون : أصناف الخلق (١) و كل ما توصلت أو ستتوصل إليه عملية الاكتشافات فى عوالم الكواكب « و المريخ » ، و ما إليه ، كل ذلك يدخل فى صيغة المجموع هذه التى اختارها و استخدمها القرآن الكريم ، كما تدخل فيها كرتنا الأرضية التى نألفها و نعيش عليها .

و قد دل القرآن الكريم حينما استخدم كلمة « رب العالمين » على أن لكل صنف من أصناف الكائنات والموجودات نظاماً تربوياً مستقلا ، و تلك النظم كلها بيد القادر المقتدر الواحد الصمد ، و أنه ليس هناك نوع من الخلق حراً من نظامه التربوى الشامل .

كما دلت هذه الكلمة وحدها على أن إله الاسلام ليس إله جنس دون جنس أو عنصر دون عنصر ، أو أمة دون أمة ، أو قبيلة دون قبيلة ، و إن هذه الحقيقة ذات أهمية قصوى فى تاريخ الديانات و المذاهب ، فان الديانات كلها فيما قبل الاسلام قد عادت تجهل هذه الفكرة الشاملة الواسعة ، و كل أمة ترى الاله مخصوصاً بها ، لا تسلم له العموم و الشمول ، فكأن الله كان عندها إلهاً قومياً ، حتى لم تعد الأمة الموحدة مثل بنى إسرائيل تدين بعمومية الاله وبكونه إله الكون كله ، فضلا عن الأمم المشركة الوثنية فى « بابل » و « مصر » ، و الهند ، ويونان

(١) راجع لسان العرب .

و رومة ، و الجزيرة العربية ، وقد جعل القرآن هذه العقائد الوثنية الضالة كلها هباء منثوراً بكلمة « رب العالمين » وحدها .

و أخطأت الأمم المشركة أفدح الأخطاء فى فهم إدراك مغزى صفة « الربوبية » و لذلك فتناولها الاسلام إصلاحاً و تصحيحاً أولا و قبل كل شئ ، و قد مالت طبقة من العلماء إلى القبول بأن كلمة « الحمد لله رب العالمين » أفضل و أشرف من جميع الكلمات حتى من « لا إله إلا الله » فان الثانية تمثل التوحيد فحسب ، أما الأولى فهى تجمع بين التوحيد و الحمد كليهما (١) .

[مالك] .

تعتقد بعض الأمم الوثنية الشهيرة فى الهند أن الله لن يخالف « قانون مكافأة العمل » و لن يعفو عن مسيئ ، و المسيحية أيضاً تعتقد أن الله مضطر إلى « العدل » و لذلك فضحى بابنه الوحيد ككفارة عن جميع المذنبين من خلقه ، إبداءاً عن عفوه و عطفه ، و دحضت كلمة « مالك » وحدها هذه العقائد الباطلة بأسرها . وقررت أن الله مختار - بكل ما فى الكلمة من معنى - فى أن يعذب من يشاء ، و يعفو عمن يشاء من المذنبين المستحقين للعذاب و العقاب ، بعد شفاعة أو بدونها .

[غير المغضوب عليهم] .

المراد هو الغضب الالهى ، و قد سبق ذكر النعمة الالهية فى الآية قبلها ، حيث استخدم القرآن بمناسبة الحديث عنها الصيغة المبنية للفاعل ، أما ههنا فقد جاءت

(١) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد القرطبي المتوفى ٦٧١هـ .

الصيغة مبنية للمفعول ، دون التعرض للاشارة إلى الفاعل ، مما يدل على مدى رحمة الله بعباده ، و عطفه البالغ على خلقه .

و قد جاء ذكر الغضب الالهى فى الصحف السماوية السابقة صريح العبارة بما فيها التوراة و الانجيل كلاهما ، فجاء فى التوراة :

« فدعنى الآن أن يشتد غضبى عليهم و أبيدهم (١) » .

ولم يخل من ذكر الغضب « الانجيل » ذلك الذى عم الرأى القائل فيه أنه صحيفة الرأفة و الرحمة (٢) ، ومما يبعث على العجب أن بعض الكتاب الجدد قد حاولوا رفض ذكر الغضب الالهى فى الاسلام رأساً ، منفعلين بل مبهورين من طعن البابوات المسيحيين ، فكأن الله سبحانه وتعالى ناسك من النساك أو راهب من الرهبان يعيش فى عزلة لا شأن له بشأن من شئون الحياة ، فألقى بيده وجلس فى ناحية هادئة مطمئنة أخذاً بمبدء « اللاعنف » فلا يتعرض لشق من الأشقياء مهما حطم و أفسد القوانين و الأحكام التى أنزلها لصالح الناس أنفسهم ، ولا يستخدم قدرته اللامحدودة ، و قوته السلطانية ، و وسائله الملكية العظيمة الضخمة لدفع فساده ، و تقويم اعوجاجه .

و لا يعزبن عن البال أن اعتراض البابوات يقوم على غير أساس ، لأنهم قاسوا الغضب الالهى على الغيظ و الغضب البشرى الذى ينشأ من الكيفية الانفعالية للنفس ، و الله تعالى جل و تنزه عن كل معانى الانفعال و التأثر ، فهو الفاعل

(١) راجع سفر الخروج ، ٣٢ : ١١ و ٣٢ : ١٢ - ١٣ و الاستثناء ٩ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) راجع متى ٣ : ٨ ، و غير ذلك .

و المؤثر بكل معانى الكلمة ، فخطوته - تعالى - الاصلاحيـة ، و إرادته التعزيرية و عمليته الرادعة ، كل ذلك نعبر عنه نحن البشر بـ« الغضب الالهى » ، ولا شك أن قوته الملكيـة ، و شفقته التربوية كلتيهما تقتضيـان أن يذوق الطغاة و البغاة ، و الخارجون على حكمه و المجرمون وبال أمرهم ، أما غيظـه سبحانه وغضبه فهو فى الواقع جزء لرحمته التى لا نهاية لها ، و عطفه الذى لا حد له .

و ذهب معظم رجال التفسير إلى أن المراد بـ « المغضوب عليهم » هم اليهود و تؤيد هذا الرأى الأحاديث و الآثار ، و قـد استنبط ذلك من الآية الكريمة « من لعنه الله و غضب عليه » أيضاً ، و يرى جماعـة من المفسرين أن المراد هم المشركون ، و أعتقد أنه ربما يمكن أن تكون الآية عامة فى شأن من يخالفون الحق عمياً جرياً وراء أهوائهم ومدفوعين بخبث أنفسهم .

[و لا الضالين] .

يعنى و لا طريق الذين لا يلتفتون إلى الحق بجهلهم ، وهم فى غفلتهم يعمهون لا يكادون يفيقون منها ، و مال عامـة المفسرين إلى أن المراد بـ « الضـالين » هم النصارى ، و تعززهم فى رأيهم الأحاديث و الأخبار ، واستفيد ذلك الرأى أيضاً من الآية الكريمة « قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيراً » .

و الحق أن حصر فحوى « المغضوب عليهم » ومصداق « الضالين » فى هذين الفريقين من اليهود والنصارى لايصح ، فلا شك أن المشركين و الملحدين الصرحاء أكثر ضلالا و غواية من هؤلاء اليهود و النصـارى ، و أكثر استحقاقاً للغضب الالهى بالنسبة إليهم .

و لذلك فيقول المحقق الرازى :

« فالأولى أن يحمل « المغضوب عليهم » على كل من أخطأ فى الأعمال الظاهرة و هم الفساق ، و يحمل « الضالون » على كل من أخطأ فى الاعتقـاد ، لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل » .

و الواقع أن سورة الفاتحة الموجزة تجمع بين بيان التوحيـد و الصفات الالهية الكمالية فى شمول و إيجاز يبعثان العجب ، و تخلو عن ذلك أسفار أديان العالم ، ولا تستطيع أن تقدم مثالا يعدل هذا البيان الجامع الشامل المعجز ، فضلا عن أن يفوقه فى الشمول والاعجاز و الايجاز ، وقد ظل العالم المسيحى يفتخر بدعائه الانجيلى « Lords Prayer » لكن العلمـاء المسيحيين أنفسهم يسلمون بضعف إسناد هذا الدعاء ، يعنى أنه ليس هناك ما يؤكـد أن الدعاء دعاء المسيح عليـه الصلاة و السلام فى ألفاظه و كلماته ، و على كل فنضع فيما يأتى الدعاء الانجيلى مقابل سورة الفاتحة ، حتى يتبين كل من ينشد الحق و يطلب العدل ، الفرق الواضح ، بين فاتحة القرآن الكريم ، و بين الدعاء الانجيلى هذا :

سورة الفاتحة		الدعاء الانجيلى :
١- الحمد لله رب العالمين	١-	أبونا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك
٢- الرحمن الرحيم	٢-	x x x x x x x x x x x x x
٣- مالك يوم الدين	٣-	لتأت ملكوتك ، لتكن مشيتك كما فى السماء و على الأرض
٤- إياك نعبد و إياك نستعين	٤-	x x x x x x x x x x x x x
٥- اهدنا الصراط المستقيم	٥-	خبزنا كفافا أعطنا اليوم
٦- صراط الذين أنعمت عليهم	٦-	و اغفرلنـا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينـا

٧- غير المضوب عليهم والضالين * ٧- و لا تدخلنا فى التجارب لكن نجنا من الشرير ، آمين (١)

(١) فانظر : أين شخص « الأب » المادى المنحصر فى السماء ، البعيد المحدود ، من سعة و شمول « رب العالمين » ؟

(٢) و أين يقع ذكر الملكوتية فى الأرض وحدها ؟ من الاعلان الصارخ بالصفات الالهية الكاملة : الرحمانية و الرحيمية و المالكية إلخ .

(٣) و ما يوجد فى العبارة القرآنية من التأكيد على التوحيد الخالص : على المنع من عبادة غير الله ، و النهى عن الاستعانة بماسواه ، لا نجد مثله فى الدعاء الانجيلى .

(٤) و ما جاء فى الآية التالية من الدعاء الانجيلى من العناية البالغة بالخبز إن دل على شئ فانما يدل على مدى المادية النكراء .

(٥) و أين يقع الدعاء للاجتناب من الشر وحده - من حيث القيمة - من الدعاء للاستقامة على الصراط المستقيم .

(١) متى ٦ : ٩ - ١٤ .

تصوير المدينة عند الهجرة

— ٢ —

سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

الحالة الدينية و المكانة الاجتماعية :

كان أهل العرب تابعين لقريش و أهل مكة فى العقيدة و الديانة ، ينظرون إلى قريش كسدنة للبيت ، و قادة فى الدين ، وقدوة فى الاعتقاد والعبادة ، خاضعين للوثنية السائدة على جزيرة العرب ، يعبدون من الأصنام ماتعبدها قريش وأهل الحجاز ، إلا أن علاقتهم ببعض الأصنام كانت أقوى من علاقتهم ببعضها ، فكانت مناة لأهل المدينة ، وكانت أقدم الأصنام ، وكان الأوس والخزرج أشد إعظاماً لها من غيرهم ، وكانوا يهلون لها شركاً بالله تعالى ، و كانت حذو « قديد » الجبل الذى بين مكة والمدينة من ناحية الساحل ، كما كانت اللات لأهل الطائف ، و العزى لأهل مكة ، و كان أهل هذه المدن أكثر تعصباً وحمية لها من غيرها ، وكان من اتخذ فى داره صنماً من أهل المدينة من خشب أو غيره يسميه « مناة » أيضاً ، كما فعل ذلك عمرو بن الجموح سيد من سادات بنى سلمة قبل أن يسلم (١) ، و قد جاء فى حديث رواه الامام أحمد عن عروة عن عائشة فى تفسير قوله تعالى : « إن الصفا و المروة من

(١) مستفاد من « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » للعلامة السيد محمد شكرى الآلوسى ، ج ١ ص ٣٤٦ ج ٢ ص ٢٠٨ .

شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » ، قالت إن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية ، التى كانوا يعبدونها عند المشلل ، و كان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا و المروة ، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله : إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا و المروة فى الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل : « إن الصفا و المروة من شعائر الله » الآية ، ولم نطلع على صنم لهم خاص فى المدينة اشتهر كاللات ومناة ، والعزى ، أوكهبل ، يعكفون على عبادته ، ويشد إليه الرحال من خارج المدينة ، ويبدو أن الأصنام لم تنتشر فى المدينة انتشارها فى مكة ، فقد كان لكل بيت فى مكة صنم خاص ، و كانت الأصنام يطاف بها و تباع ، فكانوا فى الوثنية عيالا على أهل مكة و أتباعاً لهم .

وكان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة قال لهم : « قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر و الأضحى (١) » ، و قد ذكر بعض شراح الحديث أنهما النيروز والمهرجان ، وكأنهم أخذوهما من الفرس (٢) .

و كانت قريش تعترف بشرف الأوس و الخزرج ، وهم بنو قحطان العرب العاربة ، و كانوا يصاهرونهم ، ويتزوجون فيهم ، وقد تزوج هاشم بن عبد مناف و هو سيد قريش فى بنى النجار ، تزوج سلمى بنت عمرو بن زيد من بنى عدى ابن النجار و هم من الخزرج إلا أنهم كانوا يرون لأنفسهم فضلا عليهم ، و قد قال عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة ، و الوليد بن عتبة الذين دعوا إلى المبارزة يوم بدر ، فخرج إليهم فتية من الأنصار ، فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الأنصار ، قالوا مالنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم ، يا محمد ! أخرج إلينا أكفاءنا من

(١) الحديث فى الصحيحين

(٢) « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » .

قومنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، و قم يا حمزة ، وقم يا على ، فلما قاموا و دنوا منهم ، و سموا أنفسهم ، قالوا : نعم أكفاء كرام(١) وكانوا ينظرون إلى الفلاحة التى كان يمارسها أهل المدينة بحكم طبيعة أرضهم ولاعتمادهم عليها فى معاشهم نظرة فيها شئ من الاحتقار ، و قد تجلت هذه النظرة فى الكلمة التى قالها أبو جهل و هو عقير ، قد قتله ابنا عفراء و هما من الأنصار ، أو قد أدركه عبد الله بن مسعود و به رمق « لو غير أكار قتلنى (٢) » .

الحالة الاقتصادية و الحضارية :

كانت مدينة يثرب بطبيعتها منطقة زراعية ، و كان أكثر اعتماد أهلها على الزراعة و البساتين ، و كان من أهم حاصلاتها التمر و العنب ، فكانت فيها جنات النخيل و الأعناب (٣) ، و جنات معروشات و غير معروشات ، و زروع

(١) ابن هشام ق ١ ص ٦٢٥ .

(٢) رواه الشيخان ، قال العلامة محمد طاهر الفتنى فى « مجمع بحار الأنوار » : أى الزراع و الفلاح ، و هو عند العرب ناقص يعرض بأن ابنى عفراء من الزراع ، فلو غيرهما قتلنى لم يكن على نقص ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٣) اقرأ حديث أبى طلحة فى بيرحاء الذى رواه الشيخان : و كانت بساتين ملتفة الأغصان و الأوراق حتى يدخل فيها الدبسى - و هو طائر صغير - فلا يكاد يخرج منها ، جاء فى قصة أبى طلحة الأنصارى : أنه كان يصلى فى حائط له ، فطار دبسى ، فطفق يتردد يلتمس مخرجاً ، فأعجبه ذلك ، فجعل يتبعه بصره ساعة ، إلى قصة تصدقه بهذا الحائط بسبب الفتنة التى فتن بها ، أخرجه مالك فى مؤطأه .

و نخيل صنوان و غير صنوان (١) ، و من الزروع الحبوب و البقول ، و كان التمر و خاصة أيام الجدب ، و تخلف الأمطار ، يسد كثيراً من حاجة السكان الغذائية ، و كان كعملة يتبادل بها أهلها عند الحاجة و كانت النخيل مصدر خيرات كثيرة فى حياتهم ، فكانوا يستخدمونه فى الغذاء و البناء ، و الصناعة ، و الوقود ، و علف الدواب (٢) ، ولتمر المدينة أنواع كثيرة و تفاصيل دقيقة تصعب الاحاطة بها (٣) ، ولأهل المدينة تجارب و طرق فى تنمية حاصل النخيل وتحسينه استفادوها من طول المراس ، منها تأبير النخل (٤) .

هذا لا ينفى وجود حركة تجارية فى المدينة ، و لكنها لم تكن فى القوة

(١) راجع سورة الأنعام و سورة الرعد .

(٢) اقرأ شرح الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه (فى كتاب العلم ، و ترجم له : « باب طرح الامام المسألة على الناس ليختبر ما عندهم من العلم ») فى فتح البارى » ، للحافظ ابن حجر العسقلانى أو « عمدة القارى » للعينى .

(٣) تدل الثروة اللغوية الكبيرة التى تدور حول النخلة و التمر على ما كانت تشغله هذه الشجرة و ثمرتها من مكان فى حياة العرب عامة و أهل المدينة خاصة ، وما كان لهما من أهمية ، راجع على سبيل المثال « أدب الكاتب » لابن قتيبة و « فقه اللغة » للثعالبى ، و « المخصص » لابن سيدة ، و قد أفرد عدد من العلماء كتباً للنخل .

(٤) التأبير هو أن يشق طلع النخلة ليذر فيه شئ من طلع ذكر النخل ، (شرح مسلم للنووى) .

و الانتشار بمكانة الحركة التجارية فى مكة ، إذ كان اعتماد أبناء الوادى - وهى غير ذى زرع و مياه وفيرة - على التجارة و رحلة الشتاء و الصيف .

وكانت فى المدينة بعض الصناعات يمارس أكثرها اليهود ، و لعلهم جلبوها من من اليمن ، فلم يزالوا فيه إلى أن غادروه فى الزمن الأخير . حاذقين فى الصناعات ، و كان عامة بنى قينقاع صاغة ، و كانوا أغنى طوائف اليهود فى مدينة يثرب ، و كانت بيوتهم تحتوى على الأموال الطائلة ، والحلى الكثيرة من الفضة والذهب ، مع أن عددهم كان غير كثير (١) .

و قد منحت طبيعة يثرب ، و هى بركانية التربة ، أراضيها خصباً زائداً ، و هى ذات وديان كثيرة ، تفيض بمياه السيول ، فتروى أرضها و تسقى النخل و الزروع ، اشتهر منها وادى العقيق (٢) ، الذى كان متنزه المدينة ، و كان يتدفق بالماء ، و يزهو بالبساتين ، و كانت الأرض صالحة لحفر الآبار ، و قد كثرت فى البساتين ، و منها ما هو مسور و يسميه أهل المدينة « الحائط » (٣) و اشتهرت آبار كثيرة بعذوبة الماء و وفرته ، و كانت لهم شراج (٤) ، و كانوا يحولون الماء بالمساحى إلى حدائقهم (٥) .

(١) « اليهود فى بلاد العرب » ص ١٢٨ .

(٢) اقرأ « معجم البلدان » لياقوت الحموى ، و« الأغانى » لأبى الفرج الأصبهانى

(٣) اقرأ قصة ابتلاء كعب بن مالك فى الجامع الصحيح للبخارى (كتاب المغازى) ، و قد جاء فيه : « حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة و هو ابن عمى » .

(٤) الشرجة : هى مسيل الماء .

(٥) اقرأ حديث أبى هريرة الذى رواه مسلم ، و جاء فيه : « أسق حديقة فلان » و جاء فيه ذكر الشراج - تحويل الماء بالمسحاة .

وكان من الحبوب الرئيسية الشعير ، ثم القمح ، وتكثر الخضروات والبقول ، و كانت لهم طرق فى المزارعة و المؤاجرة و المزابنة ، و المحاقلة ، و المخابرة ، و المعاومة ، منها ما أقره الاسلام و منها ما منعه أو أصلحه (١)

و كانت العملة فى مكة و المدينة واحدة ، و قد شرحناها ، و كانت المدينة تعتمد على المكاييل وتحتاج إليها أكثر من مكة ، لاعتماد أهلها على الحبوب والثمار (٢) وكانت الأكيال المستعملة فى المدينة هى المد والصاع و الفرق و العرق والوسق (٣) أما الأوزان المستعملة فهى الدرهم و الثقاف و الدانق و القيراط و النواة و الرطل و القنطار و الأوقية (٤) .

(١) اقرأ أبواب الحرث و المزارعة فى الصحاح ، و « المزابنة » : بيع التمر فى رؤوس النخل بالتمر كيلا ، و« المحاقلة » بيع الزرع فى سنبله ، الشعير بشعير كيلا ، و القمح بقمح كيلا ، و « المخابرة » و « المزارعة » متقاربتان ، و هما المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع ، كالثلث ، والربع ، لكن فى المزارعة يكون البذر من مالك الأرض ، و فى المخابرة يكون البذر من العامل ، و قال جماعة من أهل اللغة هما بمعنى ، وفى صحة المزارعة و المخابرة خلاف مشهور للسلف و الخلف ، (مستفاد من شرح النووى لمسلم) « و المعاومة » هو بيع السنين ، و معناه أن يبيع ثمر الشجرة عامين ، أو ثلاثة أو أكثر .

(٢) لذلك قال النبى ﷺ : « الميزان ميزان أهل مكة ، و المكيال مكيال أهل المدينة » (رواه أبو داؤد و النسائى من رواية طاؤوس عن ابن عمر و صححه ابن حبان ، و الدار قطنى) .

(٣ و ٤) راجع للتفصيل و التقدير شروح كتب الحديث و كتب الخلاف ، أنظر لمقاديرها « التراتيب الادارية » ج ١ ص ٤١٣ - ٤١٥ .

و لم تكن المدينة - على خصبها - مكتفية غذائياً ، فكان أهلها يستوردون بعض المواد الغذائية من الخارج ، و كانوا يجلبون دقيق الحوار و السمن والعسل من الشام ، قد جاء فى حديث رواه الترمذى عن قتادة بن النعمان - رضى الله عنه - « كان الناس إنما طعامهم بالمدينة ، التمر والشعير ، و كان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة (١) من الشام من الدرمك (٢) ، ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، و أما العيال فانما طعامهم التمر و الشعير (٣) ، و القصة تلقى ضوءاً على الحالة الغذائية فى المدينة - التى لم تحدث بعد الهجرة فجأة - وعلى المستويات المختلفة فى المعيشة .

و كان اليهود - كما عرف من طبيعتهم و تاريخهم فى كل بلد - أكثر غنى من العرب ، وكان العرب بطبيعتهم العربية البدوية ، لا يفكرون فى المستقبل كثيراً ، فيوفرون له المال ، وكانوا أهل ضيافة وكرم ، يضطرون إلى الاستدانة من اليهود ، و كثيراً ما تكون هذه الاستدانة بالربا و الرهن .

و كان لأهل المدينة ثروة من الابل و البقر و الأغنام ، و يستخدمون الابل فى إرواء الأراضى و يسمونها بـ « الابل النواضح » و كانت لهم مراعى

(١) الضافطة : قال الفتنى : « الضافطة » و« الضفاط » من يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ، و كانوا قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق و الزيت و غيرهما » ، (مجمع بحار الأنوار ، ج ٣ ص ٤١٠ ، طبع حيدرآباد الهند) .

(٢) « الدرمك » : الدقيق الحوارى ، واحده « الدرمكة » .

(٣) أنظر تفسير قوله تعالى « و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً » الآيات ، فى جامع الترمذى .

اشتهرت منهـا « زغابة » و « الغابة » ، يحتطب منها الناس ، و يرعون فيها ماشيتهم (١) و كانت لهم خيل يستخدمونها فى الحروب ،وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مكة ، و كان بنو سليم مشهورين باقتناء الخيل ، يجلبونها من الخارج .

و كانت فى المدينة عدة أسواق ، أهمها « سوق بنى قينقاع » مركز بيع الحلى و المصوغات الذهبية ، و كانت سوق البزازين ، و توجد فى المدينـة المنسوجات القطنية و الحريرية ، و النمارق الملونة و الستور المرسومة (٢) ، و كان عطارون يبيعون أنواع العطور و المسك ، و كان يوجد من يتجر فى العنبر و الزئبق (٣) و كانت أنواع من البيع منهـا ما أقره الاسلام ، و منا ما منعـه ، من النجش و الاحتكار ، و تلقى الركبان خارج المدينة ، و بيع المصراة ، و البيع بالنسيئـة و بيع الحاضر للبادى ، و بيع المجازفة ، و بيع المزابنة ، والمخاضرة (٤) ، وكان من الأوس و الخزرج من يتعامل بالربا ، وإن كان ذلك نادراً بالنسبة إلى اليهود.

و قد توسعت الحياة فى المدينة بعض التوسع ، و رقت بحكم طبيعة أهلها ،

(١) راجع « معجم البلدان » لياقوت الحموى ، « وفاء الوفاء » للسمهودى .

(٢) اقرأ حديث عائشة الذى رواه الشيخان ، و قد جاء فيـه ذكر « القرام » قال الفتنى : هو ستر رقيق و قيل صفيق من صوف ذى ألوان ، قيـل : ضربته مثل حجلة العروس ، و قيل : كان مزيناً منقشاً ، (مجمع بحـار الأنوار ج ٤ ص ٢٥٨) .

(٣) راجع « التراتيب الادارية » للعلامة عبد الحى الكتانى القسم التاسع) .

(٤) أنظر أبواب البيع فى كتب الحديث والفقه ، وشرح الكلمات فيها وأحكامها من الحلة و الحرمة .

فكانت البيوت ذات طبقـات (١) ، و كانت لبعض البيوت حـدائق ، و كانوا يستعذبون الماء ، و قد يأتون به من بعيد ، و كانت توجد كراسى (٢) ، وكانت تستعمل أقداح منزجاج وأقداح من الحجارة ، وسرج منوعة (٣) وكانوا يستخدمون المكاتل والقفف فى أعمال المنزل و الزراعة ، و كان للأغنيا شئ كثير من الأثاث لبيوتهم خصوصاً اليهود ، وكانت أنواع من الحلى كالأساور والدمالج ، والخلاخيل ، و الأقرطة ، و الخواتم و العقود من الذهب أو من جزع ظفـار (٤) ، و كان الغزل و النسيج فاشيين فى النساء ، فكانت الخياطة و الدباغة و عمل بناء البيوت ، و ضرب الطوب و النحت ، من الصناعات التى عرفت فى المدينة قبل الهجرة .

الوضع المعقد الذى واجهه الرسول ﷺ فى مدينة يثرب :

و هكذا لم ينتقل رسول الله ﷺ والمهاجرون من مدينة - مكة - إلى قرية - يثرب - بل انتقل من مدينة إلى مدينـة ، و إن كانت هى الأخرى تختلف عن الأولى فى مظاهر كثيرة للحياة ، و كانت أكثر منها نسبياً ، و لكن الحياة فيهـا كانت أكثر تعقداً ، و القضايا التى سيواجهها الرسول أكثر تنوعاً ، لوجود ديانات و بيئات و ثقافات مختلفة ، لا يتغلب عليها ولا يصهر المدينة كلها فى بوتقة عقيدة

(١) انظر حديث الهجرة ، و نزول رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى بيت أبى أيوب رضى الله عنه .

(٢) « التراتيب الادارية » ج ١ ص ٩٧ .

(٣) أيضاً ص ١٠٤ .

(٤) اقرأ حديث عائشة فى قصة الأفك الذى رواه البخارى فى كتاب المغازى ، والجزع خرز فيه سواد و بياض ، و « ظفار » مدينة باليمن

واحدة ، و دعوة واحدة إلا الرسول المؤيد من الله ، الذى أعطاه الله الحكمة و فصل الخطاب ، وقوة الجمع بين الأنماط البشرية الكثيرة ، والقوى المتصارعة ، و الأهواء المتعاكسة ، و ألقى عليه محبة منه ، و صدق الله العظيم .

« هو الذى أيدك بنصره و بالمؤمنين ، و ألف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، أنه عزيز حكيم (١) .

(١) سورة الأنفال ٦٢ - ٦٣ .

« بقية المنشور على ص ٣٢ »

والأحاديث كلها تدل على أن النبى ﷺ وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة و هذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم ، فينبغى لكل مسلم التنبه لهذه الأمور و الحذر مما أحدثه الجهال و أشباههم من البدع و الخرافات التى ما أنزل الله بها من سلطان و الله المستعان و عليه التكلان و لا حول و لا قوة إلا به ، أما الصلاة و السلام على رسول الله ، فهى من أفضل القربات من الأعمال الصالحات كما قال الله تعالى : « إن الله و ملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » و قال النبى ﷺ : « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً . » وهى مشروعة فى جميع الأوقات و متأكدة فى آخر كل صلاة بل واجبة عند جمع من أهل العلم فى التشهد الأخير و سنة مؤكدة فى مواضع كثيرة منها ما بعد الأذان و عند ذكره عليه الصلاة و السلام و فى يوم الجمعة و ليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة .

الدعوة الإسلامية

حكم الاحتفال بالموالد

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله، و على آله و صحبه و من اهتدى بهداه ـ أما بعد :

فانه قد طرأ على صفاء هذا الدين و وضوح أحكامه فى عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التى زادت انحطاطهم انحطاطاً وشغلتهم عن العودة إلى العقيدة الصافية و التمسك بها و الرجوع إلى الحق بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التى سنها من ضل وأضل ، فحادت بهم عن طريق الحق وسلكت بهم مسالك الضلال و لبست على المسلمين فى عقيدتهم ، و أخمدت فيهم جذوة الايمان و جمال الاتباع و امتصت طاقاتهم المتعددة المتقدة قوة و حماساً بمظاهر فارغة و أعمال خاوية ، فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدعة و اتجه رجاؤهم و تعلقهم بالله إلى التعلق بالقبور ، و الأضرحة و التماس الشفاعة منها ، و طلب الحاجات إليها ، فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات إلى مظاهر الوثنية و تقديس الأشخاص فاستخفهم أعداؤهم و ازداد تدهورهم و تحولت قوتهم إلى ضعف .

و بحلول التاريخ الموافق لمولد رسولنا الكريم ﷺ تحل مناسبة ابتدع كثير من الناس فيها إقامة الاحتفالات بالمولد ، و زعموا أن ذلك مما يحقق المراد من

حب رسول الله ﷺ ، و موالاته و يغفلون الواجب فى أن محبة الرسول إنما تكون باتباعه و طاعته ، أما هذه الاحتفالات الشائعة ، فهى غير جائزة بل هى من البدع المحدثة فى الدين ، لأن الرسول ﷺ لم يفعله و لا خلفاؤه الراشدون ، و لا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ، و لا التابعون لهم باحسان فى القرون المفضله ، وهم أعلم الناس بالسنة أكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعة لشرعه من بعدهم و أول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون فى القرن الرابع الهجرى و هم معروفون بالعقيدة الفاسدة و إظهار التشيع لأهل البيت و الغلو فيهم ، و قد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهورد » أى ، مردود عليه ، و قال فى حديث آخر : « عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فان كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة » .

ففى هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها ، وقد قال الله سبحانه فى كتابه : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » و قال عز وجل : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » و قال سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً . . . » و قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، و أعدلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » وقال تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » و الآيات فى هذا المعنى كثيرة .

و إحداث مثل هذه الموالد يفهم عنه أن الله سبحانه لم يكمل الدين

لهـذه الأمة ، و أن الرسول عليه الصلاة السلام لم يبلغ ما ينبغى للأمـة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا فى شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقرب إلى الله ، و هذا بلا شك فيـه خطر عظيم و اعتراض على الله سبحانه ، و على رسوله ﷺ ، و الله سبحانه قد أكمل لعباده الدين و أتم عليهم النعمة و الرسول ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ، و لم يترك طريقاً يوصل إلى الجنـة و يباعد من النار إلا بينه للأمة ، كما ثبت فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله من نبى إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم » رواه مسلم فى صحيحه ، ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء و خاتمهم و أكملهم بلاغاً و نصحاً ، فلو كان الاحتفال بالمولد من الدين الذى يرضاه الله سبحانه لنبيه الرسول ﷺ للأمـة أو فعله فى حياته أو فعله أصحابه رضى الله عنهم . فلما لم يقع شئ من ذلك علم أنه ليس من الاسلام فى شئ بل هو من المحدثات فى الدين التى حذر الرسول ﷺ منها أمته ، كما تقدم ذكر ذلك فى الحديثين السابقين .

و قد جاء فى معناهما أحاديث أخر مثل قوله ﷺ فى خطبة الجمعة : « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة . . » رواه الامام مسلم فى صحيحه ، و الآيات و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة . و قد صرح جماعة من العلماء بانكار الموالد و التحذير منها عملا بالأدلة المذكورة و غيرهـا ، و خالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شئ من المنكرات كالغلو فى رسول الله ﷺ ، وكاختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهى . . و غير ذلك مما ينكره الشرع المطهر ، و ظنوا أنها من البدع الحسنة ، و القاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله و سنة رسول

محمـد ﷺ كما قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلا . . » و قال الله تعالى : « و ما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله » .

وقد رددنا هذه المسألة وهى الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به و يحذرنا عما نهى عنـه . ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها ، و ليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ فيكون ليس من الدين الذى أكمله الله لنا ، و أمرنا باتباع الرسول و قـد رددنا ذلك أيضاً . إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله و لا أمر به و لا فعله أصحابه رضى الله عنهم ، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة و من التشبه بأهل الكتاب من اليهود و النصارى فى أعيادهم ، و بذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة و رغبة فى الحق و إنصاف فى طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الاسلام ، بل هو من البدع المحدثات التى أمر الله سبحانه و رسوله ﷺ بتركها و الحذر منها ، و لا ينبغى للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من النـاس فى سائر الأقطار ، فان الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين ، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال الله تعالى عن اليهود و النصارى : « و قالوا لن يدخل الجنـة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » و قال تعـالى « و إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » الآية .

ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لاتخلو من اشتمالها على منكرات أخرى : كاختلاط النسـاء بالرجال : و استعمال الأغانى و المعـازف و شرب المسكرات والمخدرات ، و غير ذلك من الشرور ، و قد يقع فيها ما هو

أعظم من ذلك ، و هو الشرك الأكبر و ذلك بالغلو فى رسول الله ﷺ أوغيره من الأولياء و دعائه والاستعانة به و طلبه المدد و اعتقاد أنه يعلم الغيب ، و نحو ذلك من الأمور الفكرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبى ﷺ و غيره ممن يسمونهم بالأولياء ، و قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم و الغلو فى الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين . » و قال عليه الصلاة والسلام : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله » أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث عمر رضى الله عنه .

و من العجائب و الغرائب أن الكثير من الناس ينشط و يجتهد فى حضور هذه الاحتفالات المبتدعة و يدافع عنها ، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع و الجماعات ، و لا يرفع بذلك رأساً و لا يرى أنه أتى منكراً عظيماً . و لا شك أن ذلك من ضعف الايمان و قلة البصيرة و كثرة ما ران على القلوب من صنوف المعاصى و الذنوب ، نسأل الله العافية لنا و لسائر المسلمين . . و من ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر الموالد . و لهذا يقومون له محيين و مرحبين ، وهذا من أعظم الباطل و أقبح الجهل ، فان الرسول ﷺ لايخرج من قبره قبل يوم القيامة و لا يتصل بأحد من الناس و لا يحضر اجتماعاتهم بل هو مقيم فيه إلى يوم القيامة ، وروحه فى أعلى عليين عند ربه فى دار الكرامة كما قال الله تعالى : « فى سورة « المؤمنون » : « ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » و قال النبى ﷺ : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، و أنا أول مشفع . . » عليه من ربه أفضل الصلاة و السلام .

فهذه الآية الكريمة و الحديث الشريف ، و ما جاء فى معناهما من الآيات

« البقية على ص ٢٦ »

المعارضون للدعوة النبوية

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

إن الدعوة الصادقة تواجه فى معظم الأحوال ثلاثة أنواع من المعارضين :

١- المعاندين .

٢- المتربصين .

٣- المغفلين .

و كل طائفة من هذه الطوائف تختلف عن الأخرى كل الاختلاف فى خصائصها ، و ميزاتها ونفسيتها ، و لذلك فالداعى الحكيم يضطر إلى أن يعامل كلا منها معاملة مفردة ، ويتوقف نجاح الدعوة إلى حد كبير على هذا التفريق فى المعاملة ، فلو كان هناك داع لا يفرق فيما بين هذه القطاعات المختلفة الممتازة بنوازعها وميولها و رغباتها ، و لا يدرك أبعاد هذا الاختلاف ، لا تستطيع دعوته أن تفعل فعلها و تؤتى أكلها ، و نظراً إلى خطورة القضية نحاول أن نسلط ضوءاً على خصائص كل من هذه الجماعات ، و النوازع النفسية لديها :

١- جماعة المعاندين

وأعنى بالمعاندين تلك الطائفة التى سرعان ما تحس بقوة الدعوة وتوسع نفوذها تنهض لمقاومتها بكل شدة و حدة ، والعوامل التى تدفعها إلى هذه المقاومة كثيرة

و متنوعة ، و لكن هناك ثلاثة عوامل هى جذرية و أساسية : ١- حمية الجاهلية ٢- الاستكبار و الحسد ٣- النفعية ، وهذه العوامل الثلاثة ، و إن كانت تتساوى فى مبادرة المعارضة للحق ، لكنها تختلف فيما بينها فى الحقيقة و الروح .

و « حمية الجاهلية » فى الواقع نتيجة نابعة من الولاء والوفاء للنظام الجاهلى ، فيصاب - طبعاً - بهذا الداء من يخلصون الولاء للنظام الجاهلى فى عهدهم ، لأنهم عند ما يرون دعوة قد نهضت تريد القضاء على النظام الذى يتبنونه ، وإحلال نظام آخر محله ، فتثور ثائرتهم ، و يطير نومهم ، حيث يرون فى ذلك تحطيماً للسياسة القومية و الاقتصاد الوطنى ، و تشتيتاً لشمل قبيلتهم ، و تفريقاً لجمعيتهم ، و حرباً شعواء على المثل و القيم و المألوفات و العوائد التى كانت عليها آباؤهم و أسلافهم ، فيتقززون منها و يثور فى نفوسهم من أجل ذلك كله حقد شديد و مقت كبير ، و يستعدون لمحاربتها و التفانى فى سبيل مقاومتها بكل ما عندهم من نفس و نفيس و غال و رخيص ، و بما أن معارضتهم هذه تنبع فى أغلب الأحوال من العصبية القومية ، فانها تكون مجردة من النذالة و الفسولة ، بل تكون معارضة رجولة و مروءة ، و تتسم بالحماس و لكن تتجرد عن الخسة ، و مثل هذه المعارضة يرجى فيها أن تتحول موافقة إذا ارتفع الغطاء عن الحقيقة ، و إذاً فتكون هذه الموافقة ذات حماس و شدة و قوة كما كانت تلك المعارضة ، و خير مثال لذلك فى الدعوة الاسلامية مثال أبى جهل و عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد ظل أبو جهل نشيطاً فى محاربة الدعوة إلى آخر لحظة من حياته كما يعرف الجميع ، لكنه لم يفكر قط على شدة عناده للاسلام أن يرمى نبى الاسلام بخسة أو دناءة ، كان يتابع النبى ﷺ متابعة الغريم و يلازمه ملازمة الظل حتى يحول بين الناس و بين

استماعهم لحديثه ﷺ و لكنه حينما يعارضه يعارضه بهذا الأسلوب : أى محمد ! لا أقول إنك كاذب ، و لكن دعوتك تخالف هدى آبائك ، و كان يثير حميته أكثر من كل شئ شعوره بأن الدعوة الاسلامية تفرق الجميع المجتمع من قريش ، و أعظم ما عاب به النبى أنه يفرق بين الأب و ابنه ، و الأخ و أخيه ، و يجعل الأليفين يعارض أحدهما الآخر ، يدل على ذلك قوله بمناسبة غزوة بدر الكبرى ، حينما أرى أن الدعوة الاسلامية قد جعلت من قريش صفين متقابلين « اللهم أقطعنا للرحم ، و آتانا بما لا يعرف ، فأهنه الغداة » و هذا الدعاء ، وإن كان نابعاً من حمية الجاهلية ، لكنه يدل دلالة واضحة على مروءة أبى جهل و كبر نفسه وإخلاصه لقومه ، و أمثال هؤلاء المعارضين مهما كانوا شديدين فى المخالفة ، فانهم يحملون فى أنفسهم روح القومية و الولاء القومى ، و لذلك فان الداعى يقيم له وزناً ، و يستغله ، و يتمنى أن لو أتيح له أن يسخر هذا الحب و الولاء للحق دون الباطل ، و لا أدل على ذلك من أن النبى ﷺ دعا الله لاسلام أبى جهل أو عمر بن الخطاب رضى الله عنه من بين جميع المعارضين للدعوة الاسلامية ، لكى يتعزز الاسلام باسلام واحد منهما ، و دخوله فى المعسكر الاسلامى .

و كل دراس للتاريخ الاسلامى يعرف ما وقع من تحول ملموس باسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى الوضع القائم بين المعسكرين الاسلامى والكافر فجعل عمر يخدم الاسلام و يتفانى فى سبيله أكثر من الحماس و النشاط و الرجولة و المروءة التى كان يعارض بها الاسلام ، و ما أن تحولت حميته الجاهلية إلى الحمية الاسلامية حتى أحس كل من الأعداء والأصدقاء أن دخل فى الصف الاسلامى أسد مزير ، و قد كان يحمل هو من ذى قبل عناصر قيمة تكون مادة للأوصاف و الخصال الانسانية النبيلة السامية ، لكنها كانت مطمورة تحت ركام من التصورات

الجاهلية ، فكشفت عن هذا الركام تعاليم النبى ﷺ ، فاذا بها ذهب مصفى صبيحة ديمة يجنيه جان ، و قد بهر لمعانه و بريقـــه أبصار العالم . و ما كان ولاء عمر للتصورات الجاهلية مؤسساً على النفعية والانتهازية ، بل إنه كان يظنها حقاً قبل أن يتشرف بالاسلام و تراثاً عريقاً مقدساً ورثه من آبائه و أجـداده ، و يرى فيهـا سر بقاء كيانه القومى ، و العزة القومية ، وعلى ذلك فكان يرى من واجبه القومى و الدينى أن يحارب من يحاربها ، ويسالم من يسالمها ، لـكنه حينما تجلت له الحقيقة وعرف أن الحق فى خلاف ما يعتقده هو ، فتحول من ساعته خادماً وفياً للاسلام يتفانى فى خدمته .

و أمثال هؤلاء لا يلجون على إنكار الحقيقـة ، بعد ما تتجلى لهم ، لأنهم يتعالون عن الاعجاب بالنفس أو حب المصالح الشخصية ، و كـذلك فلا يتمانعون عن أداء حقوق مبدأ قد آمنوا به ، بل يندفعون إلى الايمان بالمبدأ الذى بان لهم صدقه ، ثم يضحون فى سبيله بالمصالح الذاتية إذا احتاجوا إلى ذلك ، و هـــذا الجانب المتميز فى سيرتهم و أخلاقهم هو الذى يجعلهم ذا مكانة أينما كانوا ، ولـكن هذه الطائفة أيضاً تضم أفراداً من أنواع شتى و طبقات مختلفة ، فربما يوجد فيهـا من تتعدى حميته حـدودها إلى الأنانيـــة و الاعجاب بالنفس ، فلا يوفقون أن يتخلصوا من براثن جاهليتهم طيلة حياتهم ، كأبى جهل ، و قد يوجد فيها من يميل إلى الحق بعد تنبيه يسير وصراع قليل ، كسيدنا عمر وسيدنا حمزة رضى الله عنهما ، كما قد يكون فيهم من لاينسلخون من غلاف الجاهلية ، إلا بعد مدة طويلة جداً ، كأبى سفيان رضى الله عنه ، لـكنهم جميعاً يشتركون فى خلة واحـــدة ، هى أنهم يتبوؤن مكانة أولية فى الاسلام فور دخولهم حظيرته ، كما كانوا يتمتعون بها بالأمس فى الجاهلية « خياركم فى الجاهلية ، خياركم فى الاسلام » .

أما الذين يدفعهم الاستكبار و الحسد إلى معارضة الدعوة . فهم - غالباً - أولئك الذين قد كانوا يتمتعون بمنصب القيادة والتوجيه فى النظام الجاهلى بفضل توارثهم الدين أو الثروة و المال كابراً عن كابر ، فهم لا يرضون أن يسيروا خلف ركب و لو كان ركب الحق والصدق ، لأنهم قد تعودوا القيادة والامامة ، و لا عهد لهم بالاقتداء و الاتباع ، فذلك يبعثهم على أن يجعلوا الحق يسير خلفهم و يتجه اتجاههم أما بالعكس فلا ، وكلا ، أما الأثرياء العريقون فهم يحسبون أن الحق تراثهم العريق الذى ورثوه عن آبائهم جيلا عن جيل ، فيرونه « صنيعة شخصية » أو « ملكية غير مشاعة » و بما أنهم نشأوا فى جو يحيط به الاحترام و الاجلال فهم ، لايكادون يتصورون الحق وراء « سياجهم » وفيمن دون أشخاصهم ، و أما الأثرياء والمترفون فيرون ما يتمتعون به من جاه و منصب و مكانة و شوكة دنيوية دليلا على حقيتهم ويؤمنون بأنهم إذا كانوا هم الذين يتمتعون بالعزة والعظمة الدنيوية فلا بد أن يكون تفكيرهم هو التفكير السليم ، وعملهم هو العمل السديد ، وأصحاب هذه النفسية مأأن تتحداهم دعوة جـديدة تعارض تدينهم الموروث ، أو تضرب على أهوائهم ، حتى يجن جنونهم ، وتثور ثائرتهم ، و ينهضون من ساعتهم للوقوف فى وجه الدعوة ، و تشتد المعارضة خصوصاً إذا نهضت هذه الدعوة من طبقة غير طبقتهم ، لأنهم مزهوون بأن الحق قرينهم و حليفهم و سيظل محصوراً فيهم و وقفاً عليهم و إن غاب عنهم ، فان ظهر فى الدنيا من جديد فسيظهر فيهم و عن طريقهم ، فمستحيل - طبعاً - أن يؤمنوا بدعوة لم يتولوا كبرهـا هم ، و من ثم فان تاريخ الدعوة الطويل يشهد بأن المصابين بهذا الداء العضال لم يوفقوا - إلا قليلا جـــداً - أن يسيغوا الحق ، و يؤمنوا به ، فرؤساء مكة و الطائف الذين كانوا يصرخون بأن الله لو أراد أن يبعث نبياً لكان قد بعث فينا ، لا من غيرنا ، كانوا فريسة هذه

النفسية المريضة ، إن هؤلاء هم الذين كانوا ينكرون حقيقة الاسلام بمجرد زعمهم الباطل بأن الاسلام لو كان حقاً لما سبقنا إليه أراذلنا والطبقة المنكوبة فينا ، و كان يشاطرهم المعارضة فى ذلك ، اليهود الذين إنما كانوا يعارضون الاسلام لأنهم كانوا على يقين كامل بأنهم لو آمنوا بهذا الحق الجديد لتبعثرت إمامتهم الدينية وما يتمتعون به من عز و شرف .

و هؤلاء وإن كانوا يثيرون شكوكاً و شبهات حول الدعوة لتبرير موقفهم ، لكن كل ذلك كان يأتى إخفاءاً للعامل الحقيقى ، ألا وهو العلو والاستكبار والحسد ، والداعى الحق يرى فيهم جوانب اليأس أكثر من جوانب الرجاء والأمل ، ولا يجد فيهم من يقبل دعوته إلا قلة قليلة ، و يبلغ بهم الاستكبار إلى أنهم قد يحسبون أنهم يفوزون بمنصب الألوهية ، و لا يكادون يتنازلون عنه ما لم يضطروا إليه ، و ما لم يضيق عليهم الخناق .

و قد عد القرآن الكريم هذا الاستكبار من أكبر الأسباب التى تحول بين المرء وبين قبوله للحق ، و أكد فى مواضع شتى على النبى ﷺ أن لا يضيع وقته فى تتبع أمثال هؤلاء ، الذين هم تائهون برصيدهم من المال و الثروة ، أو بمنصبهم الدينى و إمامتهم الدينية ، و نظراً إلى هؤلاء قال المسيح عليه السلام ما معناه : طوبى لمن هم فقراء القلوب ، فانهم هم الذين سيدخلون فى مملكة السماء ، وما معناه: لا يدخل الأغنياء فى مملكة الله حتى يلج الجمل فى سم الخياط ، و قد صدق قوله ما جربه من الواقع فيما بعد تصديقاً كاملا ، فيدل الانجيل و القرآن كلاهما على أن علماء و فقهاء القدس (أورشليم) (Jerusalem) لم يؤمن أحد منهم بدعوة سيدنا المسيح عليه السلام ، حتى اضطر أن يقطع منهم كل خيط من الأمل والرجاء و يلتجئ إلى شاطئ البحر ، فينشر دعوته فى السماكين ، فوجد فيهم آذاناً صاغية

و قلوباً واعية نهضت بعمل الدعوة ، و قد وقع مثل ذلك حينما قام النبى ﷺ بدعوته ، فلم يقبلها من قادة أهل الكتاب و زعمائهم الدينى إلا أفراد يعدون بالأصابع ، أما جلهم فبقوا يعارضون الدعوة بدافع من زهوهم و تيههم بالقيادة والمشيخة الدينية ، وقد وصف القرآن الكريم أولئك الذين قبلوا الدعوه الاسلامية بأكبر ما وصف به أحداً من المؤمنين فقال : « و إنهم لا يستكبرون » مما يدل على أنهم كانو ممن لم يفعل فيهم الزهو بالقيادة الدينية أو الدنيوية أى فعل ، فكانوا لا يرون أنفسهم ما فوق الحق .

و من مزايا هذه الطبقة أنها تنظر إلى الدعوة فى أول أمرها نظرة ازدراء و احتقار ، و لا تحسب لها حساباً ، و لا تلقى عليها بالا ، ولكن ما أن تصبح الدعوة تفعل فعلها ، وتؤتى أكلها ، وتمتد جذورها ، ويتوسع نطاقها ، حتى يعودون يرون كأن الأرض أصبحت تميد بهم فتناوبهم نوبة شديدة قاضية من الحسد والحقد فيصنعون فى معارضة الدعوة و الداعية كل ما يستطيعونه ، لا يدخرون فى ذلك وسعاً ، و لا يتركون طريقاً إلا و يسلكونه ، و لا حيلة إلا و يجربونها ، كعادة من أصيب بداء الحسد . .

أما معارضة الحق على أساس « الأغراض » وحب المصالح الشخصية ، فانما يتولى كبرها أولئك الذين لا يفكرون إلا فى ذاتهم ، وتدور كل فلسفتهم الأخلاقية و الاجتماعية حول أنفسهم ، منها تبتدىء ، و إليها تنتهى ، وإنما يدخلون فى إطار النظام الاجتماعى لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى « انعزالية » أى منفصلين عن المجتمع لأن الانسان كائن اجتماعى خلقياً و طبيعياً ، لكنهم يبحثون فى داخل هذا النظام فى كل خطوة عن « الاستحقاق » ولا يرضون أن ينهضوا بعبء مسئولية ما ، و مقياس الحق و الباطل عندهم هو ذاتهم ، فكل ما ينفعهم ، فهو حق ، و كل

ما يلحق ضرراً بأى مصلحة من مصالحهم الشخصية، فهو باطل ، وكل من يحملون هذا التصور الخلقى و الاجتماعى السافل ، فطبعاً يعارضون كل دعوة تكشف اللثام فى أعين الناس بل وأعينهم عن شناعة « إغراضهم » و« نفعيتهم » وحرصهم على المصالح الذاتية ، و أمثال هؤلاء الناس لا يملكون رصيداً من العناصر والصفات التى تكون مادة لتكوين السيرة المثالية لانسان عظيم . فلا تجنى منهم الدعوة فائدة ما ، لأنهم - بحكم دناءتهم و انحلالهم الخلقى - لا يرغبون إلا فى دعوة فاسدة مفسدة ونظام خاطئ ، لكن اتصالهم بتلك الدعوة الفاسدة، وذلك النظام المفسد أيضاً اتصال « مغرض» يقوم على النفاق تماماً، فلا يرضون أن يصيبهم ظمأ أو مخمصة فى هذه السبيل .

و الذى يمثل هذا الواقع تمثيلا صادقاً ، هو مثال أبى لهب ، فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، فقد كان لا يعارض دعوة النبى ﷺ إلا لأنها كانت تزيح الستار عن جوانب سلوكه السوداء ، و تعرض المال و المتاع اللذين حازهما عن طريق الجشع والطمع البالغين ، للخطر ، وقد كان يتمتع فى النظام الجاهلى القرشى بأكبر منصب . لكن علاقته مع هذا النظام كانت مؤسسة على مصلحة كبيرة ، فقد كانت وفرت له هذه العلاقة إمكانيات هائلة للتلاعب بالأموال القومية بفضل كونه يتبوأ منصب الرفادة و الحجابة للبيت ، و كان لا يهمه بعد ذلك النظر إلى مصالح قومه ، و لا يهمه ما إذا كان هذا النظام الذى كان هو أكبر زعمائه خيراً أوشراً حقاً أو باطلا ، و أوضح دليل على ذلك هو ما صنعه يوم بدر الذى كان يوماً حاسماً بالنسبة إلى قريش أيضاً ، من إرسال رجل مكانه و قعوده فى عقر داره ، رغم صراخه ليل نهار ضد الدعوة الاسلامية بأنها جاءت تحارب النظام العريق الذى أقامه آباؤنا ، و رغم ادعائه أنه الوارث الأكبر للتقاليد الابراهيمية ، على حين قد حضر هذه المعركة الحاسمة كل من الرؤساء بغاية من الحماس و عاطفة التفانى والوفاء

فأمثال هؤلاء لا يمكن أن يقفوا - طبيعياً - من الدعوة الحقة إلا موقف الانكار و المعارضة ، و فعلا يقفون هذا الموقف ليس غير .

و بما أنهم قد تعودوا على مواقف الشر والخبث ، وخالطت الدناءة والرذالة لحومهم و دمائهم وجرى منهم ذلك مجرى الدم، فان الدعوة إلى مكارم الأخلاق و العطف و المؤاساة ، و الاخوة و المساواة ، و الايثار و التضحية ، لا تثير فيهم انتباهاً ، و لا تحرك منهم ساكناً ، فهم موتى القلوب وصم الآذان بالنسبة إلى مثل هذه الدعوة ، و لا يتوقف الأمر على أنهم لا يجدون فى أنفسهم رغبة فى الحق ، بل إنهم يكادون يموتون أسفاً من ذكره ، و إذاً فان معارضتهم للدعوة معارضة تقوم على خبث و مكر و سفولة نفس ، و لا تمت إلى المبدئية والمنهجية بصلة ما ، فربما تلتجئ إلى الدهاء و النميمة ، و الشتائم ، و الهمز و اللز .

٢- طائفة المتربصين

و المراد من « المتربصين » تلك الطبقة التى تدرك إلى حدما صدق الدعوة لكنهم لا يملكون من الجراءة الخلقية ما يجعلهم يخاطرون بأنفسهم فى سبيل قبولها بمجرد أنها حق و لا شئ سواه ، و لا من القوة الفكرية و السمو العقلى ما يدركون به - قبل أن يتخفف النظام الحق عملياً - إمكانيات النجاح الباهر التى توجد فى الحق ، و من أجل هذا الضعف العقلى ، لا تستطيع هذه الطبقة أن ترى الحق حقاً فى ضوء عقلها و إدراكها فحسب ، فتسند الأمر إلى المستقبل ، و تتربص لكى ترى الأيام تقضى لها فتنصرها و تتبعها ، أو عليها فتبقى على حالها ، تعيش هذه الحياة على الطراز الذى ألفته ، ومن ثم فانها تكون فريسة الصراع العقلى و القلق و التردد النفسى ، و لا تنشط فى معارضة الحق ، ولكنها تقف بجانب معارضيه بضغط من النظام الجاهلى السائد ، و تجتهد فى كل مرحلة من مراحل الصراع بين الحق و الباطل ، أن تجد صيغة للصلح بينهما على نقطة واحدة

حتى يسيرا جنباً إلى جنب .

و هؤلاء يقفون - إلى حد كبير - فى صف المعارضين للحق و المنكرين للدعوة نفس الموقف الذى يقفه المنافقون فى صف المؤمنين بالحق ، و لا ينتهى وضع الشك و الارتياب و وضع التربص و الأنظار الذى يعيشونه ، مهما أحرز الحق من انتصار باهر ، فرأينا عند فجر الدعوة الاسلامية أصحاب هذه النفسية كانوا يقولون بمناسبة غزوة بدر الكبرى : لو انتصر الاسلام فيها و نجح فيها محمد (ﷺ) و أصحابه فى كسب المعركة ، لآمنا بأن دعوته صادقة ، وسوف ندخل فى صفه و نقف بجانبه ، لكنهم - لما رأو أن المعركة قد انتهت بانتصار الاسلام المنقطع النظير - علقوا البت فى القضية على ما تسفر عنه المعارك الأخرى الآتية بين الاسلام و الجاهلية ، من نتائج الايجاب أو السلب و الفشل أو الاخفاق ، وفعلا قد جاءت النتائج فى حق الاسلام و المسلمين ، وانكسرت قوة قريش الحربية ، و افتضحت الجاهلية فى قارعة الطريق ، فأجلوا الحكم فى القضية إلى نتائج الصراع بين الاسلام و قوى اليهود المنظمة ، ولما تمزقت قوة اليهود فعلا وتبعثرت هالات الهول التى كانت تحيط بهم ، كان يرجى أن ينقضى «وضع الانتظار» الذى كان يلابسهم، لكنه الآن كذلك قد بقى فيهم من كانوا ينتظرون مصير المعركة بين المسلمين والروم، و على ذلك فظلوا يعيشون « مرحلة الانتظار » التى لم تكن لتنتهى ، و لم يسلموا إلا حين ضاقت عليهم ساحة الكفر تماماً وضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

و نقطة الضعف فى هذه الطبقة أنها لا تريد أن تؤمن بالحق بعد الاختبار بالعقل و الادراك ، بل تريد أن ترى انتصاره بأم عينيها ، و هذه الأمنية كأمنية أولئك الذين قالوا : « لن نؤمن حتى نرى الله جهرة » و هى أمنية صبيانة ، و لم يشجعها الله و لا رسوله قط ، بل قيل فى صراحة : إنما العبرة بالايمان الذى

يكون وليد الفهم بالعقل ، لا وليد الرؤية بالعين ، و ذلك لأن من يؤمن بحقية الحق لأنه قد شاهد نتائجة الايجابية و ثماره الحلوة ، أو لأنه يرى فى خلافه و معارضته ضرراً على مصالحه ، فانه فى الواقع لم يؤمن بالحق ، بل إنه يعبد الأرباح و المكاسب ، أو يخاف الخسارة ، و من يبلغ إلى هذا الحد من حب المكاسب ، و الخضوع للظاهر ، لا يعود فرق بينه و بين الأنعام إلا فى الصورة و الهيكل ، و لا يمكنه أن يتقيد بنظام خلقى لا تظهر نتائجه اليوم ، بل غداً ، و هذا هو السر فى أن أمثال هؤلاء لا يحملون قيمة فى نظر الدعاة الحق ، لأنهم قد جبلوا على النفسية المقلدة ، و أولعوا بالركوب على « قطار جار » مهما كان اتجاهه ، فينحازون إلى الكفر لأنه المنتصر ، وسينحازون إلى الاسلام إذا انقلبت الطاولة على الكفر ، و كان النجاح فى جانب الاسلام ، و لا يوجد فيهم تلك « الرجال » التى تنجذب إلى الاسلام بجماله الداخلى الحقيقى ، بل إنما يدخلون أى معسكر بضغط من القوة ، و من ثم فان الصف الاسلامى ، لا يتقوى بهم ، بل و ربما يضعف ، فالذين آمنوا بالحق فور ظهور الدعوة الاسلامية قد بلغوا من القوة إلى أن كل واحد منهم كان أقوى من عشرة أفراد من الكفار ، ولما انضمت إليهم الزحمة الكاثرة بعد فتح مكة أصبح كل فرد منهم لايعدل إلا اثنين من الكافرين - من أجل ضعفهم العقلى والخلقى - .

و أصحاب هذه النفسية لا يتجرأون أن يؤمنوا بالدعوة حين تمر هى بمراحل الصراع و الامتحان ، نعم يمكن أن يتكلموا بكلمة ثناء جقها فى سراً ، كما يمكن أن ينشأ فى قلوبهم حب نجاحها و انتصارها ، و ربما يمكن أنهم لا يحبون فى قرارة أنفسهم أولئك الذين يعارضونها ، و يقفون فى سبيلها ، و ربما يمكن أن يتشجع بعضهم على إعانتها المالية و الأخلاقية ، كل ذلك ممكن ، و لكن لا يمكن ، أن

يجمعوا ألواحاً متناثرة ، فيركبوا بعضها مع بعض ، و يؤلفوا منها سفينة ، ويلقوها فى اليم تصارع الأمواج المتلاطمة و تواجه الرياح المعارضة العاتيـــة و يحاولوا إيصالها إلى شاطئ النجاح ، و أوضاعهم النفسيـــة تتقلب دائماً مع تقلب الأوضاع و الملابسات المعادية والموالية ، فربما يتشجعون أن يفكروا فى قبول الدعوة عنـــد ما يرون أنها تحرز الانتصار تلو الانتصار ، و ربما يحجمون حينما يرون المصـائب على ألوانها و أشكالهـا تستقبل المؤمنين ، و هنالك يصفون الدعوة بالسفاهـة ، و يصفون الداعى بالحماقة ، و لكنهم على كل حال لا ينشطون فى استئصال شأفه الدعوة كالمعـارضين المعاندين المجاهرين ، كما أنهم لا يمكنهم أن يقـدموا على الايمان بها ، و يعلنوا ولاءهم لها ، و يتفانوا فى سبيل حمايتها ، فانهم إذا أرادو القضـاء على الدعوة ، لا يريدون أن يناهم أذى أو يواجههم خطر فى سبيل القضاء عليها ، بل يريدون أن تصطدم سفينة الدعوة بصخرة فتتمزق و تتناثر ألواحها ، و كذلك فاذا ما أرادوا خيرها ونجاحها ، فلا يريدون أن يتعبوا فى هذه السبيل ، بل يتمنون أن يتولى غيرهم هذا العمل الشاق ، ويضحى وراء تصعيـدها بالمال والمتاع والأنفس و الأبدان ، أمامهم فيكفيهم أنهم مستعدون لجنى ثمارها حلوة يانعة .

٣- طائفة المغفلين

و أعنى بالمغفلين ، الدهماء و عامة الناس الذين لا يدعهم التفكير وراء لقمـة العيش و توفير الضروريات اليومية أن يفكروا فى المساهمـة فى عملية إصلاح أو إفساد المجتمع ، و أن يلعبوا فى ذلك دوراً قيادياً ، فهم عبيـــد النظام السائد نفسياً و اقتصادياً ، و يعدون العيش فى ظله نعمة وراءها كل نعمة ، و يرون فى القائمين عليهم منعمين محسنين ، وهؤلاء - فى أغلب الأحيان - مبرؤون من المفاسد الخلقية التى تكون فريستها طبقة المعاندين للدعوة ، و لذلك فلا ينشطون فى معارضة الدعوة ، و لا يجدون حوافز تحفزهم على ذلك ، لكنهم على كل حال أتباع القادة

و الزعمـاء الدينيين المعاصرين و يعتقـــدون فيهم اعتقاداً وراثياً ، و من ثم فان الحديث الذى يخالف ما يعتقـــده أئمتهم السياسيون و الدينيون ، لا يقع من قلوبهم موقفاً ، و إن وقع فانهم يتنكرون له أولا ، و ينتظرون أن يقدم عليه أولا أئمتهم فيطأون هم أعقابهم و يسيرون خلفهم ، و أما أئمتهم فانما يخطون خطوة المعارضـة و المقاومة من أجل الأسبـاب التى فصلتهـا فى السطور الماضيـــة ، و يحاولون أن أن يسيروا باتباعهم نحوالجهة التى يتجهون إليها.

و هنالك تتعرف هـــذه الطائفة بالدعوة ، و تتقارب عامـة الناس إليها ، قدر تصاعد الصراع بين الحق و الباطل ، لأنهم يتمكنون من خلال هذا الصرع أن يختبروا - مباشرة - نزاهة الداعى ، و سمو أخلاقه ، و حقيقة دعوته . و جدائيتها و هذا الاختبار يتوصل بالذين يتمتعون بالجراءة الخلقية و العقل و الذكاء منهم إلى الانحياز إلى الدعوة ، فاذا ما يرى أصحاب السيادة المغرضون أن أتباعهم قد أفلتوا من أيديهم ، ينهضون لمحاربة الدعوة و الداعية بكل ما يملكونه من قوة و عـــدد و عتاد ، و يستخدمون كل ما يتوصلون إليه من أسباب الدعاية إبقاءاً للشعب على اتصال دائم بهم ، و حرصاً على أن لا ينفضوا من حولهم . . ممـا يجعل كثيراً من الناس يصبحون يرون فى الداعية و الدعوة رأياً سيئاً ، و يسيئون بهما الظن لكن الذين يتمتعون « بالتماسك الأخلاقى والعقلى » يجدون عند ذاك فرصة المقارنة بين أخلاق الداعية و سيرته السامية ، و قوة دعوته وبين أخلاق زعمائهم وسلوكهم و ما يدعون إليـــه ، الأمر الذى يجعل الدهماء يرغبون مع الأيام عن زعمائهم ، ويميلون إلى الدعوة الجديدة، وإن كانت التقاليد القديمة التى تكون قد أخذت بحجز قلوب الناس لا يضعف سلطانها على القلوب فى يسر و سهولة و فى مدة قليـــلة ، لكن أولى الجراءة الخلقية و السيرة السامية منهم ينهضون فيشقون الطريق إلى الحق فيدخل منها إلى الدعوة قطاع عريض من الناس أحداً بعد آخر .

دراسات وأبحاث

قدامة بن جعفر الكاتب

(بحث فى نسبه وإسلام سلفه)

— ٢ —

الأستاذ أبو محفوظ الكريم المعصوى
رئيس قسم اللغة العربية بالمدرسة العالية (كلكته)

فى نهاية الالمام بجعفر لا بأس أن نذكر مع أبى الفرج الأصفهانى آخرين من الأعلام رويا أيضاً عن جعفر بن قدامة فى مؤلفاتهما، أحدهما أبو القاسم عبدالرحمن ابن إسحاق الزجاجى (١) و الآخر أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (٢) و لا يخفى أن تلقى هؤلاء الثلاثة مختلف الروايات عن جعفر بن قدامة ينبئ عن محله الرفيع فى حقل الثقافة .

يلاحظ أن الأصفهانى بالاضافة إلى مسموعاته من جعفر ينقل أيضاً عن بعض كتبه (٣) و ذلك يصدق ما أشار إليه الخطيب من مصنفاته .

---

(١) انظر الأمالى الصغرى للزجاجى : ص ٣٦ .

(٢) لنظر أشعار أولاد الخلفاء للصولى: ص ٣٢٩ (نشرة ج . هيورث . دن) سنة ١٩٣٦م

(٣) راجع كتاب الأغانى : ج ٥ ١٢٣ (نقل الأصفهانى كلمة فائية للصعب بن عبد الله الزبيرى فى ٢٧ بيتارثا فيها إسحاق بن إبراهيم الموصلى و هذا نص بيانه : نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قدامة وذكر أن حماد بن إسحاق أنشده إياها و نسخته أيضاً من كتاب الحرمى بن العلاء . . . إلخ » .

و مما يجدر التنبيه عليه أن الأصفهانى يروى أيضاً عن محمد بن جعفر بن قدامة (١) و ذلك فى نفس كتاب الأغانى ، و كذلك هو يعرف قدامة صاحب النقد بدليل ما ورد عند ابن سنان الخفاجى فى سر الفصاحة نقلا عن الحاتمى و هذا نصه على ما يلى (٢) :

« وحكى أبو على محمد بن المظفر الحاتمى عن أبى الفرج على بن الحسين الاصفهانى قال قلت لأبى الحسن على بن سليمان الأخفش ، أجد قوما يخالفون فى الطباق ، فطائفة تزعم و هى الأكثر أنه ذكر الشئ و طائفة تخالف فى ذلك و تقول هو اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقال من هو الذى يقول هذا ، فقلت قدامة . فقال هذا يابنى هو التجنيس و من زعم أنه طباق فقد ادعى خلافا على الخليل و الاصمعى ، فاتفق الأخفش و الآمدى على مخالفة أبى الفرج (قدامة بن جعفر) فى التسمية .

فهذا الذى حكى الأصفهانى قوله فى بعض مجالس الأخفش هو بلا شك قدامة ابن جعفر فلا يستبعد أن كان الاصفهانى مع تلقيه مختلف الروايات من جعفر بن قدامة ، استفاد أيضا أشياء من ولده (قدامة) بطريقة الرواية أو على سبيل المذاكرة و قد مر أنه أخذ بعض الأخبار عن محمد بن جعفر بن قدامة .

يتلخص من هذه الأجزاء أن جعفرا ولد محمدا و قدامة ، و لا أدرى أيهما كان أسن من الآخر لكن صح على الظاهر أن جعفرا لئن لم يكن مسلماً لما سمى أحد أولاده (محمدا) و يمكن أن يكون له ولد ثالث اسمه (القاسم) فقد كناه أبو محمد ابن بشران الأهوازى فى تاريخه بأبى القاسم كما نقل عنه ياقوت ، و بهذه

(١) انظر المرجع الآنف : ج ٦ ص ٢٠٥

(٢) انظر سر الفصاحة : ص ١٨٨ - ١٨٩

الكنية يخاطبه ابن المعتز (١) كما ورد فى بعض الروايات عند أبى الفرج الأصفهانى

توفى جعفر بن قدامة يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة و ثلاثمائة ، كما ورد عند ياقوت (٢) نقلا عن تاريخ أبى محمد الأهوازى ، أما قول الذهبى (٣) فى ترجمة على بن سراج الحرشى المتوفى سنة ثمان وثلاث مأة (و فيها توفى . الأديب جعفر ابن قدامة الكاتب صاحب التصانيف ، فلايعتمد عليه بعد ما جاءنا التصريح عن الأهوازى .

بقى علينا أن نبحثه عن جد (قدامة) و كان سميه بلا خلاف و تركه الديم غير منسوب و نسبه المطرزى فقال : (قدامة بن زياد) و ليته ألم بمزيد من التعريف .

لم أر قبل الأستاذ عبد الحميد العبادى من ألم بالبحث عن جد قدامة غير أنه لم يقدر على أكثر من هذا الاعتراف النزيه (لا نعرف شيئاً عن زياد و لا عن ابنه قدامة (٤)) و لكنه أفاد على الهامش بما نصه (لفت نظرى زميلى الأستاذ أحمد أمين إلى قول الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) قال قدامة حكيم المشرق و لكنى لم أعثر على نص يفيد أن قدامة هذا هو جد المترجم (٥) .

ثم جاء الدكتور بدوى طبانة فزاد على هذا النص نصاً آخر للجاحظ أيضاً

(١) انظر قدامة بن جعفر و النقد الأدبى : ص ٤٨

(٢) ارشاد الأريب : ج ٧ ص ١٧٨ ، قدامة بن جعفر والنقد الأدبى : ص ٤٩

(٣) راجع تذكرة الحفاظ (الطبعة الرائعة) : ج ٢ ص ٧٥٦ رقم ٧٥٧

(٤) انظر نقد النثر (تحقيق فى حياة قدامة) ص ٣٣

(٥) المراجع الآنف الذكر : الهامش رقم ٢

ورد فى نفر السودان له و قد وصفه « بصاحب كيمياء » وأنشد له بيتاً فى قبة حصن غمدان و لا أدرى ما هو مستند المحقق بدوى طبانة فى هذا الصدد حيث تظاهر (١) بأن قدامة هذا هو جد قدامة بن جعفر .

مهما يكن فان هذا العاجز قد اتفق له فى هذا الباب أن يعثر على نبذة ساقها الطبرى فى تاريخ الأمم و الملوك ، فى أثناء الخبر عن نكبة إيتاخ الخزرى فى سنة ٢٣٥ هجرية و هى على ما يلى :

و أخرج إيتاخ حين بلغ دار إسحاق ، فأدخل ناحية منها ، ثم قيد فأثقل بالحديد فى عنقه و رجليه ، ثم قدم بابنيه منصور ومظفر ، وبكاتبيه سليمان بن وهب و قدامة بن زياد النصرانى ببغداد ، و كان سليمان على أعمال السلطان و قدامة على ضياع إيتاخ خاصة ، فحبسوا ببغداد ، فأما سليمان و قدامة فضربا ، و أسلم قدامة و حبس منصور و مظفر (٢) » اهـ .

هذه النبذة - فيما أرى - لها أهمية كبيرة فى محاولة التعريف بجد قدامة لما جاء فى ضمنها من سليمان و زميله قدامة بن زياد الكاتبين .

قد عرفنا أن سليمان بن وهب بدأ يكتب للمأمون و هو إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة وكان مختصاً بالوزير أبى عبد الله محمد بن يزداد بن سويد الكاتب المروزى . ثم فى عصر الواثق حكم عليه مع أخيه الحسن بن وهب بالحبس وتلا ذلك أن

(١) انظر قدامة بن جعفر و النقد الأدبى : ص ٥٠

(٢) راجع تاريخ الأمم و الملوك لأبى جعفر الطبرى طبعة لائيدن سنة ١٨٨٣) الجزء الـ ٥ من الجملة الثالثة ، ص ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، أيضاً (الطبعة الأولى فى مصر) : ١١ ص ٣٤

المتوكل على الله نكب ايتاخ الخزرى فأصاب البطش من كانوا إلى حيزه وفى ضمنهم سليمان كما ورد فى النص الآنف ثم خلى سبيله حتى عاش إلى سنة ٢٧٢ هجرية ، و فى خلال هذه المدة كتب سليمان لا شناس كما وزر للمهتدى ثم للمعتمد إلى أن غضب عليه الموفق أبو أحمد طلحة بن المتوكل واعتقله فمات فى السجن فى السنة المذكورة آنفا . و قدرثاه البحترى وكذلك العبشمى من شعراء العسكر ، وبعد ذلك استمرت الكتابة و الوزارة فى عقبه مع فترات عدة (١) .

أما زميله (قدامة بن زياد النصرانى) الذى عوقب بالضرب والتهديد ثم أسلم فلا نعثر على مزيد من أخباره فيما انحدر إلينا من المصادر .

و لعلهم أطلقوا سراحه بعد إسلامه أو قبل أن يعتنق الاسلام ثم أسلم . فعاش كزميله فى الكتابة و شريكه فى الأزمة (سليمان بن وهب) إلا أنه بقى مغموراً لم تتهيأ له الأسباب كما تهيأت لسليمان و يغلب على الظن أنه مدى حياته تكسب من صنعة الكتابة وليس لكل موظف فى ديوان الكتابة أن تسنح له النهزة السعيدة للوصول إلى أعلى الدرجات .

و مما يرجح إمكانية القرابة النسبية بين القدامتين أن قدامة بن زياد هذا قد جاء فى طبقة جد صاحبنا (قدامة بن جعفر بن قدامة) و لا أرى أى مانع من أن ننسب الذى لم ينسبه النديم فنقول هو (قدامة بن زياد النصرانى) هذا الذى كان على ضياع ايتاخ فى زمن المتوكل ولا يبعد إذن أن يكون هو والد (جعفر بن قدامة بن زياد) الذى ترجمه الخطيب وعده فى مشائخ الكتاب كما يبعد أيضاً أن

(١) أنظر معجم الشعراء للمرزبانى : ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٤٦٤ ، ١٤٩ ، ٢٢٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، الفهرست للنديم : ١٧٧ ، محاضرات الشيخ خضر بك (الدولة العباسية) : ص ٢٩٧ .

يكون جعفر بن قدامة بن زياد ، سمى بعض أولاده باسم أبيه (قدامة بن زياد) و شاء القدر أن يصبح هذا الولد أشهر من أبيه وجده وهو صاحب النقد قدامة بن جعفر .

غير أن النديم صرح فى ترجمة (قدامة) بأمرين يحول الاعتبار بهما دون هذا الرأى الذى انتهينا إليه . أحدهما ما يستفاد من بيانه أن جعفراً كان خلواً من الثقافة غير معدود فى أهلها و ثانيهما أن قدامة بن جعفر أسلم على يد المكتفى بالله .

قد أسلفنا أن النديم خالفه فى الجزء الأول من سياقه المطرزى و من اختار قوله من الكتاب العصريين وقد زدنا على حجتهم فى هذا الصدد أشياء تؤيد رأيهم .

أما إسلام قدامة بن جعفر على يد المكتفى فلم يخامر الشك فيه أحداً من السابقين و اللاحقين إلى عصرنا هذا . لكننى فيما يلوح لى ذاتيا لا أعتقد النديم فى هـذا الجزء بمعزل عن التلوث بل وإخاله قد أخطأ فى هذا كما أخطأ فى أمر أبيه (جعفر ابن قدامة) .

على تقدير صحة ما بينا آنفا نعتقد أن (قدامة بن جعفر) ولد بين أبوين مسلمين و لا عجب إن كان أبوه (جعفر) ولد أيضاً بعد إسلام أبيه (قدامة بن جعفر) أو أسلم معه أو بعد إسلامه طواعية .

أما قول الدكتور بدوى طبانة فى تعليل دخول (قدامة) الحفيد فى الاسلام فهو بعيد جداً من الصواب الواقع تاريخيا ، و لو لم يثبت إسلام جده و أبيـه ، فكيف لا و قد ثبت على ضوء الشواهد التى استعرضناها ، وهذا نص كلامه (١) (كان دخول قدامة فى الاسلام - كما يبدو - جواز النفوذ إلى الوظيفـة ، فكان كاتباً من كتاب الدواوين و اشتهر أمره)

(١) أنظر قدامة بن جعفر و النقد الأدبى ص ٦٢ .

لا يخفى ما فى هذا التعليل من ذر الرماد فى العيون ، وإن لم تكن هذه فرية من المغمضات فهى حتما مما جره إليها اجتهاده الخاطئ فى ذكر محتمل يسد مسد السبب لاسلام (قدامة بن جعفر) إذ لم يذكر النديم سبباً لاعتناقه الاسلام . و من هنا قد عثر المحقق الباحث فى فضل اجتهاده عثرة لا يقال لها لعا ، فقد كانت الكتابة حتى قبل الدولة العباسية بمثابة الوزارة إذ لم تتشكل هيئة الوزارة فى العصر الأموى ومع ذلك لم يكن الاسلام إذ ذاك سبباً مباشراً للوصول إلى الكتابة ، ولذلك نمر فى كتاب الدولة الأموية باسماء سرجون بن منصور الرومى وابن سرجون النصرانى و ابن بطريق النصرانى (١) و أمثالهم و لما آلت الخلافة إلى العباسية و اشتد أزرها بالوزارة منذ عصر وزير آل محمد أبى سلمة بن الخلال حرمت الكتابة تلك المكانة واستمرت تفوقها الوزارة بكثير . فما أبعد من الواقع إذن أن يعد الاسلام سبباً للنفوذ إلى الكتابة فى حق قدامة بن جعفر أو آخر من الكتاب أيام الدولة العباسية ، وقد ثبت فى التاريخ الاسلامى علينا أن الاسلام ما كان قط شرطا للوصول حتى إلى وزارة التنفيذ (٢) فضـلا عما دونها من منزلة الكتاب فى الدواوين ثم العجب من المحقق كيف لم يسنح له الاطلاع مثلا على هؤلاء الكتاب الذين عاشوا فى زمن قريب من قدامة بن جعفر و بعضهم قد عاصره أو أدرك أواخر عصره وكلهم فتحت عليهم الكتابة أبوابها مع بقائهم على النصرانية أو غيرها من الديانات الاولى و نكتفى منهم بسرد أسماء الخمسة التالية :

الفضل بن مروان بن ماسرجس النصرانى : خدم المامون و المعتصم و وزرله

(١) راجع المسعودى ، التنبيه و الاشراف : ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ (طبعة الصاوى) .

(٢) أنظر الماوردى ، الأحكام السطانية : ٢٥ ، ٢٠٢ (ط . مصر) .

و خدم من بعدها من الخلفاء (انظر الفهرست : ص ١٨٤ و قول الهيثم بن فراس الشامى فيه عند ياقوت فى إرشاده ج ٥ ص ٨٨ - (دار المامون)) .

٢- إبراهيم بن عيسى النصرانى : كان من ظرفاء الكتاب و أدبائهم قاله النديم (الفهرست : ١٨٩) .

٣- ابن التسترى ، سعيد بن إبراهيم : يكنى أبا الحسين كان نصرانياً . . من صنائع بنى الفرات هو و أبوه ، قاله النديم (الفهرست : ١٩٣) و انظر قصته مع بعض العجائز فى نقد النثر ص ١٠٨) و اتصال قدامة بن جعفر ببنى الفرات معروف .

٤- الصابى أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون : أمره أشهر من أن يشهر (انظر الفهرست : ص ١٩٣ - ١٩٤) .

٥- ابن سريج و اسمه إسحاق بن يحيى بن النصرانى : قال النديم ، يحيى إلى وقتنا و مولده لسنة ثلاثمائة فى شعبان ، و كان حسن المعرفة بأمور الدواوين و مناظرة العمال و صناعة الخراج و له من الكتب كتاب الخراج - كبير فى جزأين - و كتاب الخراج الصغير و جعله منازل و ما إلى ذلك (راجع الفهرست : ص ١٩٥) و تقدم أن قدامة أيضاً وضع كتابه فى الخراج على منازل .

هذه الشواهد و أمثالها تفند ما زعمه المحقق فى تعليل إسلام قدامة ، على أن الاسلام اعتنقته أسرته منذ زمن جده (قدامة بن زياد) كما قدمنا .

قدانتهينا إلى هذا الحد من صلة أحد القدامتين بالآخر وليس عندنا مانتشبث به من النقول المسلسلة التاريخية غير أن الوجوه المبعثرة المتلائمة تحثنا على الأخذ بها و الاستنتاج منها و لا بأس أن نعيدها على ما يلى :

١- منها اشتراك الثلاثة أعنى قدامة بن زياد النصرانى حتى قبل إسلامه ، وجعفر بن قدامة بن زياد ثم قدامة بن جعفر بن قدامة ، فى صناعة الكتابة .

٢- ومنها نصرانية قدامة بن زياد ثم انتماء قدامة بن جعفر إلى النصرانية ، وقد كانت الأسرة عريقة فى النصرانية إلى أن أسلم (قدامة) الجد فكان عهده أو عهد بيته حديثاً بالاسلام ومن هنا لا استحالة إذا كان البعض زعم أن الذى اعتنق الاسلام أولا هو الحفيد دون الجد و مما أوقعه فى الوهم اتحادهما فى الاسم ، بينما البعض الآخر عرف الحق الواقع و يؤخذ من ترجمة (جعفر بن قدامة بن زياد) عند الخطيب أن جعفرا عاش بعد أبيه مسلماً معدوداً فى جمهور المسلمين بحيث أهمل الخطيب أى إشارة إلى معتقده و دينه .

٣- و منها أن الظروف و الأدوار المتواصلة التى عاش فيها الثلاثة بعضهم تلو بعض تنطبق تماماً على طبقاتهم المتتابعة ، كما إذا كانوا جداً و أباً و حفيداً ، ثم الفترة بين إسلام قدامة بن زياد النصرانى فى سنة ٢٢٥ هجرية و بين إسلام قدامة بن جعفر على يد المكتفى بالله (٢٨٩ - ٢٩٥) و إن لم يمكن ضبطها بالتحديد فهى تتراوح ما بين أربع و خمسين إلى ستين سنة وهى فترة صالحة لعزو بعضها إلى البعض عزو الحفيد إلى جده .

٤- إلى جانب تلكم الوجوه المبينة آنفاً تضاف هذه العبقرية التى بلغ قدامة بن جعفر ذروة سنامها ، فانها تنم أيضاً عن انحداره من عرقة موغلة وصناعة الكتابة وبالتالى عن صحة اعتزائه إلى أب وجد كاتبين كما هو أولى بمجرى الطبيعة .

هذا الذى مشينا عليه من اتصال أبى الفرج قدامة فى نسبه ، بقدامة بن زياد زميل سليمان بن وهب يمكننا أن نستظهر على قوة جانبه بالمقارنة مع اثنين من رجال الطبقة المعاصرين له ، ومن حسن الصدفة قد انحدر كلاهما من بنى سليمان بن وهب على الترتيب التالى :

(أ) أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب : وزر للمعتضد بالله بعد أبيه عبيد الله ثم للمكتفى و توفى فى سنة تسعين و مائتين (١) .

ب) أبو الحسن (أو مصغراً) إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب : انتهى إلينا من آثاره «كتاب البرهان فى وجوه البيان» و قد ذكر فيه قصة ابن التسترى المتكلف فى كلامه بالتقعر (٢) .

قد عاصر إسحاق و القاسم كلاهما أبا الفرج قدامة ، و هما فى طبقة واحدة من أحفاد سليمان بن وهب ، فكذلك يترجح حصول أبى الفرج قدامة فى نفس هذه الطبقة من قدامة بن زياد زميل سليمان و ليس هناك شئ من النصوص أو المحتملات يمنع من ذلك .

من عجائب العبر أن مؤلف كتاب البرهان بقى لا يعرفه كبير أحد و إن كان جده سليمان بن وهب فى طليعة المشاهير من وزراء الدولة العباسية ، و بازاء ذلك قدامة بن جعفر مؤلف نقد الشعر طبق الخافقين ذكره و إن عاش جده قدامة بن زياد مغموراً إلى أقصى الغاية ، و من يدرى لعل الأسرتين استمرتا على اختلاف حظوظهما من وظائف الدولة تتعارفان منذ عصر جديهما حتى أنتجت هذه الصلة فى بعض الأدوار و الأقطار خاصة أن يخلط البعض فى عزو كتاب البرهان إلى قدامة بن جعفر من رجال إحدى الأسرتين دون مؤلفه الحقيق إسحاق بن إبراهيم إلى أن قيض الله الدكتور على حسن عبد القادر لاماطة اللثام عن وجه الحقيقة .

قد فات النديم أن يذكر وفاة قدامة بن جعفر كما فاته أن يشير إلى تاريخ ميلاده . كذلك ياقوت لم يقدر على بيان شئ من الأمرين ، إلا انه أعلن بعدم الثقة بابن الجوزى الذى ذكر قدامة فى وفيات (٣) سنة سبع و ثلاثين و ثلاثمائة . و قد كفانا المحقق الدكتور بدوى طبانة مؤونة البحث عن هذا التحديد الذى أفاده

(١) انظر معجم الشعراء للمرزبانى : ص ٢٢٠

(٢) انظر نقد النثر : ص ١٠٨

(٣) انظر المنتظم : ج ٦ ص ٣٦٣ رقم ٥٨٦

ابن الجوزى فأبان عن مقاييس (١) مرجحة لقوله و لا بأس أن أزيد عليها قرينة لا تتأخر عن أخواتها فى الافادة بالتثبت و هى أن تنظر فى نهاية العمر التى بلغها نفر من المتخرجين على ابن قتيبة و المبرد و ثعلب أو بعضهم كما تخرج بهولاء أبو الفرج قدامة ، و هذه أسماء بعضهم فيما يلى :

(١) نفطويه ، أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة (٢٤٤ - ٣٢٣ ه) عاش تسعا و سبعين سنة . و توفى فى سنة ثلاث و عشرين و ثلاثمائة (يراجع النديم : ص ١٢١ ، انباه الرواة : ج ١ ص ١٧٦ - ١٨٢ رقم ١٠٩)

(٢) الصولى أبو بكر محمد بن يحيى (٠٠ - ٣٣٥ / ٣٣٦ه) توفى سنة خمس أو ست و ثلاثين و ثلاثمائة (يراجع له النديم : ٢١٥ ، قال و عاش إلى سنة ثلاثين و ثلاثمائة و توفى مستتراً بالبصرة ، انباه الرواة : ج ٣ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ رقم ٧٣٢) .

(٣) غلام ثعلب ، أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد (٢٦١ - ٣٤٥ه) بلغ أربعا و ثمانين و توفى فى سنة خمس و أربعين و ثلاثمائة (يراجع النديم : ١١٣ ، انباه الرواة : ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٧ رقم ٦٧٨

(٤) ابن درستويه ، أبو محمد عبد الله بن جعفر (٢٥٨ - ٣٤٧ ه) قد عاش تسعا وثمانين سنة و توفى فى سنة سبع وأربعين و ثلاثمائة على قول القفطى ، و نيف و ثلاثين و ثلاثمائة على قول النديم (يراجع النديم : ٩٣ - ٩٤ ، انباه الرواة ج ٢ ص ١١٢ -١١٤ رقم ٢٢١) .

فهولاء الأربعة من أقران قدامة بن جعفر تشهد مواليدهم و وفياتهم لصحة ما ذكره ابن الجوزى من وفاة قدامة فى سنة سبع وثلاثين و ثلاث مأة . وليس فى تفرده بهذا التحديد مايمنعنا من الاقتناع به أما قول ياقوت (٢) (و أنا لاأعتمد على ما تفرد به ابن الجوزى لأنه عندى كثير التخليط) فهو غير مرضى به فى هذا المحل إذ لم يأت بحجة غير دعوى التخليط فقط

(١) انظر قدامة بن جعفر و النقد الأدبى ٨٦ - ٨٩

(٢) إرشاد الأريب : ج ١٧ ص ١٢ - ١٥) دار المأمون)

بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى

(الحلقة الثامنة)

الأستاذ محمد تقى الأمينى

مدير القسم الدينى بجامعة على كراه الاسلامية

الانسان الصناعى فى الاقتصاد و إطاره :

الانسان الصناعى شعاره المادة ، و ليس وراءها أى قوة داخلية أوخارجية فى نظره ، ومن ثم فان النواحى الاقتصادية عنده مبنية على الحوائج البدنية والاقتضاءات الحيوانية و المتطلبات الشهوانية كالغذاء و الكساء و التمتع الحسى و الاشباع الجنسى و غير ذلك .

له إطاران هامان موضوعان لحل المشاكل الاقتصادية .

١- الرأسمالية : أما الاطار الرأسمالى فهو يشجع طبقة من الأثرياء على الجشع وهى تستولى على الثروات والملكيات وعلى الانتاجات الصناعية والزراعية وعلى الايرادات و مصادرها و على الأرزاق و مهماتها ، و يؤدى المجتمع إلى نوع من الصراع الحزبى والانتحار الطبقى باخلال التوازن ، و يقسمه إلى طبقتين متعارضتين دائماً ، طبقة تتمتع بنعيم الحياة على حساب كرامة الانسان و شرفه و اكتساب الضعيف و جواصله و طبقة ليس لها حق سوى لقمة خبز جافة و خرقة كساء متواضعة و حجرة بيت خاوية على عروشها ، و يدعو إلى استغلال العمال و استئصال الزراع و استمتاع حقوق الانسان من ناحية و إهدار شرف الانسان وتكديس

مال الحرام و إفساد الخلق و الضمير من ناحية أخرى .

٢- أما الاطار الشيوعى . فهو الدين الصناعى الأرضى السفلى عوضاً عن الدين الحقيقى السماوى العلوى وهويضع تاريخاً جديداً للبشرية ويرد كل أسباب التطور إلى العوامل الاقتصادية ، و يبنى عليها حياة الانسان ومقوماته كلها ، فالأقدار الروحية والقيم العالية ليس لها مكان مستقل و شأن محكم فى فطرة الانسان و تاريخه بل هى نتاج التفاعلات الاقتصادية و افتراءات الاقطاعيين و الرأسماليين ، و الدين السماوى كالأفيون و اسم الله عز وجل ابتدعه قسيسون و البورجوازيون لتخدير الجمهور و تحقيق النهمة الاقتصادية فى ظله .

إذا كان الاطار الشيوعى أوجد حلا لبعض المشاكل الاقتصادية و أنقذ الانسانية من الرأسمالى ، و لكنه كبل الانسان بالمصانع و جعله جزءاً كسائر أجزاء الماكينات وخفض قيمة الانسان عن ثمن السلعة التى ينتجها أو الآلة التى يعمل عليها .

هذان الاطاران مستويان فى الفكرة المكانية و الوجهة المادية و متحدان فى جحود الفكرة الربانية والوجهة الروحانية ، و الفرق بينهما كالفرق بين النفاق المستتر و الكفر البواح ، وفى النفاق قال حذيفة رضى الله عنه « إنما كان على عهد رسول الله ﷺ ، فأما اليوم فانما هو الكفر أوالايمان (١) أى حكم النفاق بعدم التعارض لأهله و الستر عليهم كان على عهد رسول الله ﷺ ، أما اليوم فلم تبق تلك المصالح (٢) » .

الانسان الحقيقى فى الاقتصاد و إطاره :

الانسان الحقيقى شعاره الاعتقاد بما وراء الطبيعة والمادة وأنه لاتحرك هنا ذرة إلا

(١) البخارى و المشكاة باب الكبائر و علامات النفاق .

(٢) المرقاة على حاشية المشكاة

باذن الله و بهذه النسبة النواحى الاقتصادية مبنية و مستقرة على الفكرة الربانية التى تكفل كل مقومات الحياة الانسانية من المادية و الروحية و الاطار الذى يبتنى على هـذه الفكرة يقال له الاطار الربانى هو موهوب من الله عز وجل لحل المشاكل الاقتصادية ، و يقوم بناؤه على هذه الأمور الأساسية .

١- إن امكانيات النمو : وسائل الرزق و الحياة عامـة و مشاعـة بين الانسان و الحيوان ومسموحة بالافادة وميسورة بالأخذ لكل فرد من الأفراد بلا تخصيص وترجيح و زيادة و نقصان ، قال الله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً (١)» «وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢) وقال عليه السلام : الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله (٣) و قال عليه السلام من كان معه فضل ظهر فليعد على من لاظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد على من زاد له قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحـد منا فى فضل » و قال عليه السلام : إن الله تعالى فرض على الأغنيـاء فى أقواتهم بقدر ما يكفى فقراءهم ، فان جاعوا وعروا و جهدوا فيمنع الأغنياء و حق على الله أن يحاسبهم و يعذبهم عليه (٤) .

٢- إن وسائل الانتاج و أسباب الرزق كلها أمانة و موكولة إلى الناس لصيانة الحياة و تنميتها و رقيها ، و الملكية بالانابة لا بالاصالة والمالك الأصيل هو الله الله تعالى و الانسان خليفة الله و نائبه فى الأرض و حق الملكية فى الانسان كونه أحق بالتصرف و الانتفاع من غيره تبعاً لحـدود الله و قيوده قال الله تعالى :

(١) البقرة الآية ٢٩ (٢) الحجر الآية ٢

(٣) الجامع الصغير المجلد الأول (٤) المحلى لابن حزم المجلد السادس ص ١٥٨

« و انفقوا ممـا جعلناكم مستخلفين فيـه (١) » « و آتوهم من مال الله الذى آتاكم (٢) وقال عليه السلام ماأعطيكم ولا أمنعكم أنا قاسم أضع حيث أمرت (٣) و قال إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق فلهم النـار يوم القيامـة (٤) و قال عمر : و من أراد أن يسأل عن المـال فليأتنى فان الله جعلـنى خازناً و قاسماً (٥) .

٣- إن النواحى الاقتصادية فى الاسلام كلها تقوم على القيم العالية والأقدار الروحية ويؤمر المرء بأداء ما يجب فى أموال الناس من الحقوق من الزكاة والصدقات وينهى عن ممارسة الربا و القمار و الميسر و الغش و الاحتكار و الربح الفاحش و المكر و المنازعة و المصلحة الذاتية و الاختلال بالتصـدير و الاستيراد و غير ذالك ، قال الله تعالى « يسئلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للناس و اثمهما أكبر من نفعهما (٦) هذه الآية تدل على أن الأقدار الروحيـة و القيم العالية هى التى يعول عليها فى النفع و الضرر لأن الضرر يستعمل فى الخسارة المادية و الاثم يستعمل فى الخسارة الروحية ، و قال الله تعالى : « يا آيها الذين آمنوا لاتأكلو أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » (٧) « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و ذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون (٨)

(١) الحديد الآية : ٩ (٢) النور الآية : ٣٣

(٣) البخارى و المشكاة باب رزق الولاة و هداياهم (٤) أيضاً

(٥) تاريخ عمر لابن الجوزى الباب التاسع و الثلاثون.

(٦) البقرة الآية : ٢١٩ (٧) النساء الآية : ٢٩ (٨) البقرة الآية : ٢٧٩

و قال عليـــه السلام : لا ضرر و لا ضرار فى الاسلام (١) من غش فليس منى (٢) المحتكر ملعون (٣) نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة و عن بيع الغرر (٤) نهى رسول الله ﷺ الكائى بالكائى (٥) و قال عليه السلام : ما بال رجال يشترطون شروطاً فى كتاب الله ما كان من شرط ليس فى كتـاب الله فهو باطل و إن كان مأة شرط فقضاء الله أحق و شرط الله أوثق (٦) .

٤- إن الغرض المقصود من تنظيم الوسائل و طرقها و تقسيم النتاج و عناصرها إقامة العدل و التوازن بين الناس بأى طريق يمكن من المواعظ الأخلاقية والأحكام المندوبة و القوانين الحقيقية و الأحكام المفروضة و الأحكام الموقتة تحقيقاً للعـــدل و التوازن المطلوب ، قال الله تعالى : « إن الله يأمر بالعـدل و الاحسان (٧) هـذا أجمع آية فى القرآن للحث على المصالح كلها و الزجر عن المفاســد بأسرها ، و قال « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (٨) ومن الرحمة جلب المصالح للنـاس و دفع المفاسد عنهم ، و قال عليه السلام : يا ابن آدم أن تبذل الفضل خير لك و أن تمسكه شر لك و لا تلام على كفاف و ابدأ بمن تعول (٩) و قال ﷺ هم إخوانكم تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمـه مما يأكل و ليلبسه مما يلبسه و لا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه (١٠) .

(١) مسلم أبواب البيوع . (٢) المشكاة باب المنهى عنها من البيوع .
(٣) الطيبى شرح المشكاة كتاب البيوع (٤) المشكاة باب المنهى عنها من البيوع
(٥) أيضاً (٦) البخارى و مسلم و المشكاة باب المنهى عنها من البيوع
(٧) النحل الآية : ٩٠ (٨) الأنبياء الآية : ١٠٧
(٩) مسلم و المشكاة باب الانفاق و كراهية الامساك
(١٠) أيضاً باب النفقات و حق المملوك

٥- إن فرداً من الأفراد لا يحرم ضرورات الحياة والمعاش فى حال من الأحوال و تكون الفرص متوفرة لكل فرد على حسب استعداده و مؤهلاته و لكى يكتب فوق الضرورات الأساسية ويواجه العيش إلى المشاريع العمرانية والتنمية والمشروعات الانشائية قال الله تعالى : « و ما من دآبة فى الأرض إلا على الله رزقها » (١) « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» (٢) و قال عليه السلام فى الغـذاء و الكساء والمسكن « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال ، بيت يسكنه و ثوب يوارى به عورته و جلف الخبز و الماء (٣) وقال عمر رضى الله عنه لو مات كلب على شاطئ الفرات جوعاً لكان عمر مسئولا يوم القيامة (٤) و قال : لو تركت عقر جرباء إلى جانب ساقيـة لم تدهن لخشيت أن أسأل عنها يوم القيامة (٥) و الظاهر أن حاجات الانسان بالغة الخطورة من الحيوان ، وقال عليـه السلام فى الزواج : ثلاثة كلهم حق على الله عونه ، الغازى فى سبيل الله و المكاتب الذى يريد الأداء و الناكح الذى يريد التعفف (٦) و أصدر عمر بن عبد العزيز مرسوماً أن انظر كل بكر ليس له مال فشاء أن تزوجه فزوجه ، و مر عمر بن الخطاب برجل و هو يأكل بشماله و قطعت يمينه يوم موتة فدعا له بخادم و أمر له براحلة و طعام و ما يصلحه و ما ينبغى له (٨) .

و فى الكفالة و أداء الديون قال عليه السلام من ترك مالا فلأهله و من

(١) هود الآية : ٦ (٢) الزخرف الآية ٣٢
(٣) الترمذى كتاب الزهد (٤) توفيق الرحمن ص ٣٤
(٥) التبر المسبوك للغزالى ص ١٧ (٦) ابن ماجة أبواب العتق باب المكاتب
(٧) كتاب الأموال ص ٢٥١
(٨) كتاب الآثار لأبى يوسف فضائل الصحابة حديث ٩٢٧

ترك ضيـــاعاً فالى (١) ترك ضياعاً أى ضـــائع ليس له شئ (٢) و إلى ، أى أنا أعوله و أنفق عليـــه (٣) و قال : من ترك كلا فالى الله و ربما قال فالى الله و رسوله (٤) قال أبو عبيد : الكل عنـــدنا كل عيل والذرية منهم (٥) وقال عمر الخطاب : ولا مديوناً إلا قضى عنه دينه (٦) وقال عمر بن عبد العزيز : انظر كل من أدان فى غير سعة ولا سرف فاقض عنه (٧) و كتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى عامل البصرة: ألا و أوسعوا الناس فى بيوتهم وأطعموا عيالهم (٨)

وفى المشاريع العمرانية و التنمية و المشروعات الانشائية قال الله تعالى : «هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها (٩) فيه الدلالة على وجوب العمارة للزراعة و الغراس و الأبنية (١٠) و قال عليـــه السلام : اطلبوا الرزق ولو فى خبايا الأرض (١١) و قال الماوردى : والثالث عمارة البلدان باعتماد مصالحها و تهذيب سبلها و مسالكها (١٢) .

و على الدولة أن تستجيب المسئوليات الاقتصـــادية للجتمع و أن تسن من التشريعات و القوانين المؤقتة و أن تنظم الثروات و الملكيات و الوسائل بخصوص هذه الأمور الأساسية المذكورة على أساس جـــديد لأن الأوضاع و البيئات تتغير بتغير الأحوال و الأزمان و بالنسبة إلى الخير و الشر ، حينما تكـــدست الثروات

(١) كتاب الأموال ص ٢٦١ (٢ و ٣) الترمذى أبواب الفرائض
(٤) كتاب الأموال باب الفرض للذرية من الفىء (٥) أيضاً
(٦) السيد على زاده شرح شرعة الاسلام (٧) كتاب الأموال
(٨) الطرطوسى سراج الملوك ص ١٠٩ (٩) هود الآية : ٦١
(١٠) أحكام القرآن للجصاص (١١) المبسوط للسرخسى ج ٢٣
(١٢) الأحكام السلطانية للماوردى .

و انكمشت الملكيات فى الطبقة المترفة ، و القلق و الاضطراب فى الطبقة الأخرى ، فطرق العدل والتوازن وقوانينهما تختلف عما يكون فى المجتمع المتزن الذى لا اضطراب فيه ولا اختلال ، قال الله تعالى : «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم (١) » وقال عليه السلام : إن رسول الله مولى غنيكم و فقيركم (٢) و قال بلال : ما كان له شئ إلا أنا الذى كنت إلى ذلك منـــذ بعثه الله إلى أن توفى ، فكان إذ أتاه الانسـان فرآه عارياً فأمرنى فانطلق فاستقرض فاشترى البردة و الشئ فأكسوه و أطعمه (٣) و قال عمر : إنما مثلنا كمثل قوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم فقالوا له أنفق علينـــا فهل له أن يستأثر عليهم بشئ قال لا (٤) ، و قال : لو استقبلت من أمرى ما استـــدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين (٥) .

و للدولة سلطات واسعة فى تنظيم الثروات و الملكيات و الوسائل و يد منبسطة فى الأموال والأراضى و النتاج ، قال الله تعالى : « يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو » (٦) و قال عليه السلام : السلطان ولى من لا ولى له (٧) و قال : « الله و رسوله مولى من لا مولى له » (٨) و قال عمر للناس : إنى حريص على أن لا أرى حاجة إلا سددتهـا ما اتسع بعضنا لبعض فاذا عجز ذلك عنا تأسينـــا

(١) الحشر الآية : ٧ (٢) كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢١
(٣) الأشراف لابن المنذر و التراتيب الادارية ج ١ ص ١٤٢
(٤) تاريخ عمر لابن الجوزى الباب التاسع و الثلاثون ،
(٥) المحلى لابن حزم المجلد السادس ص ١٥٨ . (٦) البقرة الآية : ٢١٩
(٧) الترمذى أبواب الفرائض باب ما جاء فى ميراث المال .
(٨) أبو داؤد كتاب النكاح باب العطاء .

فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف ولوددت أنكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ولست معلمكم إلا بالعمل ، إنى و الله لست بملك فاستعبدكم ولكنى عبد الله عرض على الأمانة فان أبيتها و رددتها عليكم واتبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم وترووا سعدت بكم و إن أنا حملتها و استتبعتكم إلى بيتى شقيت بكم ففرحت قليلا و حزنت طويلا (١) .

و قال أبو حنيفة : إن نواحى دار الاسلام تحت يد إمام المسلمين (٢) و قال المالك : تصير الأرض للسلطان (٣) و قال ابن القيم : إن مقصوده إقامة العدل بين عباده و قيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهى من الدين ليست مخالفة له (٤) و قال السيد قطب : فى يد الدولة أن تنزع من الملكيات وأن تأخذ من الثروات بنسب معينة كل ما تجده ضرورياً لتعديل أوضاع المجتمع أولمواجهة نفقات إضافية ضرورية لحماية المجتمع من الآفات ، آفات الجهل وآفات المرض و آفات الحرمان و آفات الترف وآفات الأحقاد بين الأفراد و الجماعات و سائر ما تتعرض له المجتمعات من آفات ، بل فى يد الدولة أن تنزع الملكيات و الثروات جميعاً و تعيد توزيعها على أساس جديد و لو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التى تعترف بها الاسلام و نمت بالوسائل التى يبررها لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أواتقاء الأضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد (٥) .

« يتبع »

(١) البداية و النهاية المجلد السابع ص ٤٦
(٢) المبسوط المجلد الأول ص ٩٣ (٣) المحلى لابن حزم المجلد الثامن
(٤) الطرق الحكمية ص ١٤ (٥) معركة الاسلام و الرأسمالية ص ٤٣

الثقافة الاسلامية فى الهند :

ندوة العلماء و دورها الطليعى فى تعميم اللغة العربية

و تطوير الأدب العربى فى الهند

[قدم هذا البحث فى الندوة العلمية التى أقامتها « جمعية التعليم الاسلامى » فى كيرالا (فى كلية عماد) بين الفترة ٢٤ ديسمبر - ٢٩ ديسمبر ١٩٧٨ .
و كان موضوع الندوة « الاتجاهات الحديثة فى الأدب العربى الحديث]

سعيد الأعظمى الندوى

الهند فى التاريخ العلمى :

تاريخ الهند الاسلامى حافل بألوان من المنجزات العلمية و الأدبية و الثقافية و الحضارية ، وهو زاخر بأنواع من الفنون ذات الأهمية البالغة ، و قد قام علماء هذه البلاد و رجالها بخدمة العلوم الاسلامية عن طريق التأليف و الترجمة و التعليم و التربية فى جميع مجالات العلم و الثقافة بحيث إنهم لم يتركوا فيها ثغرة ولا فراغاً إلا و قد سدوها بذكائهم وعبقريتهم و بعكوفهم على أداء المسئولية فى صبر وحزم ، و قد عرفت الهند بوجه خاص بخدمة الحديث الشريف و السنة النبوية و بتفسير كتاب الله و شرح نصوصه و تدوين الفقه و جمعه و ترتيبه ، و بوضع مؤلفات قيمة و كتب عظيمة فى جميع نواحى العلم و الفن من الكلام و المنطق و الحساب و الجغرافية و الجبر و الرياضى و الفلك و النجوم و الطب و التاريخ و الأدب و اللغة ، و لأهل الهند فى كل من هذه العلوم و الفنون آثار قيمة لا يتجاهلها التاريخ العلمى لهذه البلاد فى أى مرحلة من مراحله .

عناية مسلمى الهند باللغة العربية :

و قد كان المسلمون شديدى العناية باللغـــة العربية و آدابها بجانب اهتمامهم باللغات المحلية ، و قد بذلوا جهودهم فى تدوين العلوم الاسلامية و شرحها باللغـــة العربية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فنشأ فيهم علماء و أدباء و شعراء و كتاب و خطباء بهذه اللغة الشريفة ، و قدموا فيها نتاج عقولهم و أفكارهم ، كل فى مجاله و محيطه .

و ظلت الحياة العلمية تسير على هـــذا المنوال حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ومطلع القرن الرابع عشر الهجرى ، وفى هذه الفترة بالذات وجدت يقظة أدبية عربية إذ نهض بعض الغيارى على اللغة العربيـــة من علماء المسلمين و عقدوا العزيمة على بعث هذه اللغة من زاوية الخمول ، و نفى ظن الناس بأنها لغة دينيـــة أثرية قديمة تنحصر بين الكتب و العلوم الشرعية فحسب ، وتأكيد أن اللغة العربية إنما هى مفتاح كنوز الكتاب و السنة و هى لغة حية متدفقة بالقوة و النشـاط ، لغة الشريعة و القانون ، و لغة السياسية و الاجتماع و الصحافة ، و لغة الثقـافة و الحضـارة ، و لغة الدين الذى هو آخر الأديان السماوية الذى يخلد مع الزمان و يساير الحياة ، و لغة خاتم الأنبياء و الرسل ﷺ الذى جاء بالشريعة الخالدة ، و نزل عليه الكتاب فى أفصح اللغات و أقوى اللهجات العالمية .

تباشير اليقظة الأدبية و تأسيس ندوة العلماء :

ظهرت تباشير هذه اليقظة الأدبية و العلمية الدينية فى عام ١٣١٠ هـ الموافق ١٨٩٢م حينما تجمع هؤلاء الغيارى من علماء المسلمين الربانيين وزعمائهم فى مدرسة دينية بمدينة « كانفور » شمالى الهند ، و قد أدركوا أهميـــة الموضوع ، و الوضع الذى كان يمر به المسلمون فى ذلك الوقت علمياً و دينياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً

فاتفقوا على محاربة الوضع والبحث عن سبيل الاكتفاء الذاتى للمسلمين فى جميع شئونهم و خاصة فى مجال التعليم و التربيـة ، و بحثوا و درسوا حتى توصلوا إلى تأسيس جمعية إسلامية علمية باسم « ندوة العلماء » وفعلا أسسوها فى عام ١٣١١هـ الموافق ١٨٩٣م ، و بعد عامين من تأسيسها أسسوا مدرسة نموذجية على المستوى الجامعى تقوم بتطبيق التوصيات والقرارات العلمية والمنهجية على نظام التعليم الدينى السائد وكان من بين هذه التوصيات إعطاء اللغة العربية نصيبها من الاهتمام و التقدير و توفيـة حقها فى المنهج الدراسى باعتبارها لغة المسلمين الرسمية و أنها لغة حية قوية واسعـة لاتضاهيها أى لغة أخرى فى سعة النطاق و كثرة المواد .

عناية ندوة العلماء بالعربية :

يقول أستاذنا الكبير السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى ابن المؤرخ الهند الاسلامى الكبير العلامة الشريف عبد الحى الحسنى و هو يتحدث عما وجدت اللغة العربية من الاعتناء إثر تأسيس دار العلوم جامعة ندوة العلماء .

« عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم - الرسالة الخالدة - وتدريسه ككتاب كل عصر و جيل ، و عنيت باللغة العربية التى هى مفتاح فهمـــه و أمينة خزائنه ، و وجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حيـــة من لغات البشر يكتب بها و يخطب ، لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار أو الأسفار كما كان الشأن فى الهند » (١) .

خطوة ثورية تقوم بها ندوة العلماء :

قام رجال ندوة العلماء و أبناؤها قبل الجميع بهذه الخطوة الثورية التى كانت تعتبر بدعة لدى كثير من الناس و ركزوا على هذه النقطة تركيزاً قوياً و وضعوا

(١) المسلمون فى الهند ص ١٢٧

منهجاً جديداً للتعليم الدينى وجعلوا اللغة العربية هى لغة تدريس المواد العلمية وخاصة أنقذوا الأدب العربى من ذلك الحصار الضيق الذى كان محبوساً فيه بين المقامات الحريرية ، و نفحة اليمن و العرب و ديوان المتنبى ، إنهم أخرجوه لأول مرة إلى الجو الواسع حيث تنفس الصعداء ونال مجالا واسعاً جداً للتطور والتقدم والتوسع، فخرج من أساليب السجع و القوافى و التصنيع المشين إلى أسلوب طبعى أصيل ، و دخل فى جميع أصناف العلم و الفن ، و عرف الناس أن الأدب العربى ليس كما كانوا يزعمون محصوراً بين عدة كتب لا يمكن أن يتجاوزها إلى غيرها من الشئون الحيوية و الثقافات المتنوعة و أن اللغة العربية أصعب اللغات لا يمكن التكلم بها و التعبير بها عن ذوات الصدور .

أول اتجاه للأدب العربى فى الهند :

كان ذلك أول اتجاه للادب العربى فى هذه البلاد فقد كان لهذه الخطوة الثورية فى مجال تعليم اللغة العربية دوى فى جميع الأوساط العلمية و الأدبية أرغم رجال التعليم و التربية فى المراكز الاسلامية لتعليم الدين و العلوم الشرعية ، على التفكير فى هذا الموضوع و الانتفاع بالتجربة الجديدة التى قامت بها ندوة العلماء .

و عكف رجال ندوة العلماء بغاية من الصبر و العزم الأكيد رغم مخالفات ظهرت فى ذلك الوقت من بعض الجهات على تمثيل الأدب العربى فى جميع مجالات العلم و الثقافة ، فدأب فى صمت مديرها الكبير العلامة عبد الحى الحسنى - رحمه الله - المتوفى عام (١٣٤١ - ١٩٢٣) الذى عرف فيما بعد بمؤرخ الهند الاسلامى الكبير ، على تأليف تاريخ الهند برجالها و أعيانها و عهودها الاسلامية و ثقافتها و حضارتها و مراكزها العلمية و آثارها التاريخية ، و ألف من غير أن يعلن و من غير أن يقوم بأى دعاية ، تاريخ الهند الاسلامى الواسع باللغة العربية الذى

غطى آلاف الصفحات ، و ذلك كأول خطوة فى مجال بعث اللغة العربية والاعتناء بها و تحقيقاً للثورة الأدبية التى نادى بها علماء ندوة العلماء و رجالها و المسئولون عنها ، و أداءاً للواجب الذى يعود عليه كأكبر مسئول لندوة العلماء فى زمنه .

يقول ابنه الأستاذ أبو الحسن الندوى فى مقدمة المجلد الثامن لكتاب والده العظيم الذى عرف فى المكتبة الاسلامية الضخمة باسم « نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر » .

« و قد كان من سمو همته و طموحه و ألمعيته و بعد نظره أن يؤثر اللغة العربية لتأليف هذا الكتاب و قد بلغت منتهى الضعف و الركاكة فى عصره بضعف الكتب التى كانت مقررة فى المنهج الدراسى و الانشاء المسجوع التقليدى الذى كان سائداً فى الهند منذ قرون » (١) .

اتجهت الأنظار فى ذلك الوقت إلى ندوة العلماء التى نالت اعتبار أهل الهند فى الأدب العربى بوجه خاص وعقدوا بها آمالا كبيرة فى إحياء اللغة العربية حتى عرفت بميزتها الأدبية فى الأوساط العلمية و الأدبية ، و لكن ذلك وحده لم يكن يكفى لتحقيق تلك الثورة الأدبية التى قادتها و إقناع الطبقات المختلفة من أهل العلم و الثقافة و الدين بأن الأدب العربى يستطيع أن يسع آفاق الحياة و يغطى مرافق الناس و يعبر عن دقات الجنان ، و نبضات الزمان ، و تطورات الانسان .

أدباء العرب فى ندوة العلماء :

فاتجهت عناية رجال الندوة بعد العلامة الشريف عبد الحى الحسنى - رحمه الله - و على رأسهم سماحة العلامة السيد سليمان الندوى صاحب السيرة النبوية و سيادة الدكتور العلامة عبد العلى الحسنى مدير ندوة العلماء فى ذلك الوقت ، إلى

(١) مقدمة نزهة الخواطر ج ٨ ص ٥

توسعة نطاق اللغة العربية و أدبها عن طريق الكتابة و الخطابة و الصحافة عدا التأليف والتدريس ، فاستدعوا لهذا الغرض أدباء بارعين من أهل العرب كالدكتور محمد تقى الدين الهلالى ، و الشيخ محمد بن حسين الخزرجى اليمانى ، و الشيخ محمد طيب المكى ، والأستاذ محمد العربى الهلالى ، وكان اجتماع أمثال هؤلاء الأدباء العرب حدثاً تاريخياً عظيماً فى ذلك الوقت ، انطلق منه اتجاه جديد ، و هبت رياح الأدب العربى فى الهند كلها .

أنجب هؤلاء الأساتذة العرب بمساعدة رجال الندوة جيلا من تلاميذ بارعين أتقنوا اللغة العربية كتابة و خطابة و دراسة وتذوقوا الأدب العربى حيث إنهم فاقوا بعض الأحيان أدباء العرب فى صدق اللهجة و جمال التعبير و رصانة البيان و نضوج الأسلوب ، الأمر الذى أقربه العلماء و الأدباء فى البلاد العربية ، ويجدر بالذكر ، منهم الشيخ أبو الحسن على الندوى ، و أديب العربية الكبير الأستاذ مسعود عالم الندوى ، و الأستاذ محمد ناظم الندوى ، و الأستاذ عبد الرحمن الكاشغرى ، و غيرهم من العلماء والأدباء .

طلوع مجلة الضياء :

وفى ظرف أربعين سنة فقط من تأسيس الندوة خطا هذا الجيل نحو اتجاه جديد لم يكن مألوفاً لدى أهل هذه البلاد (١) وكانت خطوة موقفة ناجحة فى مجال الصحافة العربية الاسلامية و طلعت مجلة « الضياء » الشهرية من ندوة العلماء فى عام ١٣٥١هـ الموافق ١٩٣٢م أنشأها الأستاذ الأديب مسعود عالم الندوى ، باشراف الأستاذين الجليلين العلامة السيد سليمان الندوى و الدكتور تقى الدين

(١) رغم وجود صحافة عربية ضيقة النطاق والبيان لا تسمن ولاتغنى من جوع.

الهلالى ، و بمساعدة أخويه الكريمين الأستاذ أبي الحسن على الحسنى الندوى ، و الأستاذ محمد ناظم الندوى .

الأسباب التى دعت إلى إصدار مجلة الضياء :

يتحدث العلامة السيد سليمان الندوى فى افتتاحية أول عدد صدر لمجلة « الضياء » عن الأسباب التى دعتهم إلى إصدار مثل هذه المجلة فيقول :

« هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين و فيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها و إن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها ، وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها و كبارها ، و طلبة العربية فيها نحو مأة ألف أو يزيدون . . . و على ذلك ما يؤلمنا ذكره و يشوكنا نشره أن هؤلاء الجم الغفير والعدد الوفير أكثرهم بكم عن التكلم باللغة العربية ، و لهم عى عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة فضلا عن الخطابة فيها مرتجلين ، و ليست كتابتهم إلا فى أمور طفيفة من الفقه أو أبحاث سمجة فى المنطق تمجها الآذان ، و لا تسمن و لا تغنى من جوع العلم ، و تنبو طباعهم عما تنشره الصحف و المجلات الأردوية ، فلا يقرؤونها فيحرمون من حظ وافر من العلم الذى يتزايد أمره كل يوم ، و ينمو شأنه كل صباح و مساء ، و زادك أسفاً لو رأيت مناهج دروسهم العقيمة و ما فيها من الكتب القيمة ذات الأساليب الرميمة .

و أول من تنبه لسد هذا الخلل ، وملافاة هذا الخطأ دار العلوم التى أسسها ندوة العلماء بلكناؤ ، فأفرغت جهدها فى تعليم اللغة العربية قديمها وحديثها كتابة و خطابة ، و زادت فى قائمة درسها كتب الأدباء المجيدين ، من السلف الكرام المجيدين الذين كتبهم ينبوع الأدب ، و مادة لغة العرب ، مثل مصنفات ابن قتيبة الدينورى ، و عبد القاهر الجرجانى ، و قدامة بن جعفر البغدادى ، و أبى هلال

العسكرى ، و الجاحظ البصرى ، و استبدلت دواوين قدماء الشعراء بما تكلفته خواطر المحدثين المتأخرين بعد القرن الرابع .

ثم وضعت بعض كتب ابتدائية لدرس المبتدئين وألفت معجماً جديداً يضمن شرح الكلمات الدخيلة والمعربة التى لا غنى عنها فى فهم الجرائد والمجلات العربية ، و عينت معلماً خاصاً لتعليم اللغة الحديثة فيها و آثرت لتعليم الآداب العربية رجالا معروفين من العرب أنفسهم لكون اللغة لهم طبعاً و ذوقاً و لنا تكلفاً و تنمقاً ، فأسندت أولا رئاسة أساتذة اللغة العربية إلى الأستاذ العلامة الشيخ محمد طيب المكى ، ثم إلى الأستاذ الفاضل الكامل الشيخ محمد بن حسين الخزرجى اليمانى - رحمهما الله - وأخيراً يملأ هذا الفراغ فيها صديقنا الأستاذ الكبير الشيخ تقى الدين الهلالى المغربى .

و قد كان لمسعاها دوى فى سائر أندية المدارس العربية ، و أخذت تبذل ما فى وسعها من الجهود فى مباراتها ، والحق أحق أن يقال إنه بعد ما تملك صديقنا العزيز و رفيقنا فى طلب العلم و رديفنا فى تلقى الدروس و شريكنا فى الشيوخ و أولنا فى الجمع بين علوم الشرق و الغرب الشيخ ضياء الحسن العلوى الندوى (م ، ع) زمام تفتيش المدارس العربية ورئاسة امتحاناتها فى ولايتنا البلاد المتحدة صار لهذه المدارس العربية وامتحاناتها فى العلوم الشرقية طور آخر ودور زاه زاهر ، فانه أدخل فيها تعديلات نافعة و اتخذ لاصلاح أمرها تدبيرات ناجعة فجعلها منسقة النظم و متحدة النظام ، و انتقى لها مناهج درس و قوائم كتب تضمن بالنجاح و تؤذن بالفلاح ، وجعل فيها لأدب العرب محلا يليق به ، وألزم متعلمى المدارس العربية الكتابة و إنشاء المقالات بالعربية .

و كذلك فعلت رئاسة المدارس العربية فى ولاية « بنجاب » فجعلت الكتابة

و الانشاء بالعربية من مواد امتحاناتها الشرقية التى لا غنى عنها لطالب .

و تلتها الجوامع الانكليزية الرسمية ، فانها أدخلت تحسينات نافعة فى فرعها العربى بأيدى أساتذة فضلاء دكاترة فى العلوم العربية نالوا شهادة الدكتورية من جوامع ألمانيا و إنكلترة ، و لهم يد بيضاء فى استبدال المناهج الجديدة المفيدة بالمناهج القديمة العقيمة ، و قد أسفرت مساعيهم عن نتائج ذات بال ، و لجامعتى « لاهور » و « دهاكة » خطوة فى هذا السبيل بعيدة الشوط ، و تبعتهما جوامع « إلهآباد » و « لكناؤ » و « بتنه » و « كلكة » واهتمت بها من المعاهد العربية التى للحكومة ، الكلية الشرقية بـ « لاهور » و مدرسة شمس الهدى بـ « بتنه » و المدرسة العالية بـ « كلكته » .

وأشد الجوامع الانكليزية اعتناء باللغة العربية جامعة « دهاكة » فانها خصصت لها قائمة درس تدرس فيها اللغة العربية و علومها مع بعض العلوم الجديدة و اللغة الانكليزية ، و تمنح الناجحين فيها شهادة تؤهلهم للدخول فى كل ما يمكن الدخول للناجحين فى العلوم الانكليزية المحضة من الوظائف والمناصب ، أما جامعتا الاسلامية بـ « على كره » فأرادت أن تقتفى أثر جامعة « دهاكة » فى جعل العلوم العربية و آدابها فرعاً لها خاصاً فقررت لجنة لتحقيق أمنيتها ونيل بغيتها ، و عسى أن يأتى بأثر يذكر و عمل يشكر ، و أما الجامعة العثمانية بـ « حيدرآباد » الدكن فهى أكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربى و أشدها اهتماماً بأمره و إكراماً للناجحين فى علومه و آدابه ، و أسخاها منحاً بالمناصب و الوظائف لهم .

هذا و لكن هذه الأموال المنفقة و الجهود المفرغة تكاد أن تذهب سدى و لا تأتى بجدوى ، لأن جو الهند غير عربى يكدر فضاءها زعازع هوجاء من العلوم الأفرنجية و الآداب الانكليزية فتحدق بالطلبة الصحف الأردية و الجرائد

و المجلات الانكليزية ، وترد عليهم النشرات الأردوية و الانكليزية تترى ، فلاتدع لهم جانباً فارغاً للعربية ، فلا تجد فى الهند صحيفة عربية يقرأونها ولو مرة فى الشهر و يكتبون فيها و لو مرة فى السنة فيتمرنوا فى الانشاء العربى ليحذقوا فيه و يسهل عليهم الكتابة فى اللغة العربية و يستطيعوا إبداء المعانى العلميـــة غير الخيـالية التى يقرأونها فى الكتب فيخيل إليهم من سحرها أنهم فى جيل غير جيلهم ، و يقتدروا على إبراز المعانى المستحـــدثة فى طراف حلل تسر الناظرين ، و تجرى أقلامهم فى نقد السياسة و الأخلاق و نشر التربية والتعليم و سرد الأنباء و الحوادث وقرض الشعر و نسج الأدب و يضربوا بسهم نافذ فى معرفة الآداب العربية المستطرفـــة المستظرفة و يتمكنوا من الخوض فى كل موضوع و الاستغراف من كل حوض و تكون لهم صلات متواصلة بالبلاد العربية فتقوى بهـا وسائل التعارف و التدانى و وسائط التصافح والتصافى ولاتغفى عنهم الجرائد والمجلات العربية التى تجلب من البلاد الأجنبية لبعد شقتها و غلاء أثمانها و اختلافها عن ذوق متعلمى العربية بـ « الهند » و أنى لهم التناوش من مكان بعيد .

فذلك ما دعانا إلى إصدار مجلة عربية و اضطرنا أن نتحمل هـــذا العبء الثقيل ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ، و لقـــد ألقينا بأيدينا إلى التهلكة ، و نصبنا أنفسنا غرضاً لسهام الحوادث ، و نعلم ما أصاب إخواننا السابقين من خيبة المسعى و كبوة القدح ، فكان أحد سلفنا - رحمه الله - أصـــدر جريدة « الرياض » فظهرت و زهرت ثم تقلبت بها الرياح فأصابها إعصـار من نار الفقر فاحترقت ، وتلتها مجلة البيان فقضت من عمرها سنين ثم أناخ الدهر عليها بكلا كله فخرست عن النطق ثم جاءت على فترة من رسل الكلام الجامعة لأنى الكلام فلم تبلغ أشدها حتى دهاها ما فرق جمعها وشتت شملها فذهبت مساعيها أدراج الرياح ، وغيرها

من الصحف العربية التى لم ترزق الحياة إلا لشهر أوشهرين فنخشى علينا ما أصابهم من خيبة الأمل و قربة الأجل ، و ليس لدنيا قوة لنقتحم بها هذه العقبات إلا التوكل على الرحمان و لا من زاد لهذا السفر الشاسع إلا الثقة بنصره من الخلان و لا من بضاعة لهذه التجارة الكاسدة إلا حسن الظن بناصرى العربية فى هـــذه البلدان ، فمن أحسن إلينا فأجره على الله . « إن الله لايضيع أجر المحسنين » (١) .

النقاط الرئيسية فى كلمة العلامة الندوى :

هذا المقتطف الطويل للعلامة السيد سليمان الندوى إنما يلقى ضوءاً على تلك الخطوة الثورية التى قام بها هو مع زملائه و تلاميـــذه فى مجال تعليم اللغة العربية وترقية أدبها فى هذه البلاد ، و نستطيع أن نستخلص منه النقاط التالية :

١- الدور الطليعى الذى مثلته ندوة العلماء فى مجال تعليم اللغة العربية وتعميم الأدب العربى فى هذه البلاد .

٢- التأثير العام لهـذا الدور العظيم على مستوى عموم الهنـــد بين مراكز التعليم و المدارس الاسلامية و الاعتراف بما بثته ندوة العلماء ببراجمها العلمية و الأدبية من روح أدبية وثقافية فى جميع الأوساط العلمية .

٣- تطوير المنهج التعليمى بادخال تحسينات جديدة و إجراء تعـــديلات مطلوبة فى المقررات الدراسية على وجه الاستمرار نظراً إلى أن ذلك حاجة أكيدة لكل أمة ذات الحضارة الخالدة ، و الثقافة الممتازة ، و اللغة الحية ، و الأدب الرفيع .

٤- ثورة فى عالم الصحافة العربية الاسلامية رغم كثرة العوائق و ضآلة الوسائل .

العلامة أبو الحسن على الندوى وندوة العلماء :

و ما زالت ندوة العلماء قائمة بهـــذه البرامج و الأعمال بنفس تلك الروح

(١) افتتاحية العدد الأول السنة الأولى لمجلة « الضياء » المحرم ١٣٥١ مايو ١٩٣٢

و ذلك الشعور بل أقوى منها ، و إنها بذلك أسدت إلى المسلمين و طلبة العلوم الاسلامية فى هذه البلاد خيراً كبيراً ، وقد وفق الله رجالها فى كل دور إلى أداء المهمة التى حملوها على عواتقهم فى مضمار التعليم والتربية فى هذه البلاد و قيض الله تعالى من حسن حظها فى عهدها الأخير رجلا عظيماً حقاً لحمل هـذا العبء الثقيل و المسئولية الكبرى و هو العلامة الكبير الداعية الاسلامى سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى بلغ برسالة الندوة إلى القمة العالية وبذل مجهوداته المخلصة فى تحقيق أهدافها العظيمة .

إن أمين ندوة العلماء العام فى الدور الأخير استانف العمل الثورى الذى نادت به ندوة العلماء فى جميع المجالات وحققت فى مدة قصيرة من المنجزات العلمية والأدبية و الدعوية ما يحير العقل و يدهش النفس ، إنه ضرب مثلا رائعاً للرائد الاسلامى العظيم الذى يتصرف فى كل شأن من شئون التربية و التعليم فلم يقصر فى تنـاول المنهج التعليمى بالتعديلات والتحسينات المطلوبة لدى كل حاجة ، وقد وفقه الله لوضع منهج تعليمى ناجح لتدريس اللغة العربية و الأدب العربى و كان ذلك أول اكتفاء ذاتى حققته ندوة العلماء فى عصره ، وقد ازدهر الأدب العربى على يده فى هذه البلاد ازدهاراً كبيراً ، صار له أسلوب عربى خاص قلده أبناؤه و تلاميذه وغير تلاميذه أيضاً ، لا فى بلاد الهند وحدها بل فى العالم الاسلامى و العربى كله .

و سمت همة مدير ندوة العلماء و أمينها العام لوضع مؤلفـات و كتبت ذات قيمة ، فكرية ، غالية ، باللغة العربية الخالصة و الأسلوب العربى الرصين و هى تعتبر زيادة قيمة فى المكتبة الاسلامية الفكرية و الأدبية ، و أقر بغلاء قيمتها وعلو مكانتها علماء العرب و أدباؤهم من الطبقة الأولى ، وأحلوها مكان الصدارة بين ما صدر فى الفترة ما بين الخمسينات والسبعينات من الكتب والانتاجات العلمية والأدبية والدعوية .

و لم يكتف بذلك بل خطا نحو الصحـافة العربية الاسلامية خطوة ثورية فى عام ١٩٥٥ و شجع بعض أبنائه و تلاميذه على إصدار مجلة عربية أدبية إسلاميـة دعوية باللغة العربية و الأسلوب العربى الخالص ، و لعل هذه الخطوة كانت أكثر توفيقاً من الله مما سبق عند صدور مجلة الضياء التى كانت نواة صالحة للصحافة العربية الاسلامية فى الهند ، و كانت مجلة « البعث الاسلامى » التى صدرت فى أول أكتوبر ١٩٥٥م من أجنى ثمارها و أينع قطوفها ، و تلتها صحيفة « الرائد » التى صدرت فى يوليو ١٩٥٩م بعدها بأربع سنوات ، و كانت نصف شهرية ، و كلتـا الصحيفتين مثلتا الصحافة العربية الخالصة و نالتا إعجاب الصحافة العربية فى الدول العربيـة و أحرزتا إعجاب الأدباء والعلماء و الدعاة فى داخل البلاد وخارجها على السواء ، و قد رحب بهما الناس فى كل مكان مثل ما نالت مجلة « الضيا » ترحيباً حاراً من جميع الأوساط العلمية و الأدبية و الصحفية فى العالم .

هذه الجهود الغالية التى بذلها رجال الندوة فى مجال اللغة العربيـة و الأدب العربى كانت اتجاهـات ذات سمة عالية من الجدية و الطرافة و النزاهة و السمو ، و كل جهد أو عمل أدبى وجد فى هذه البلاد فى أى وسط من الأوساط أو فى أى طبقة من الطبقات أو فى أى مركز من المراكز العلمية و الثقافية فانمـا هو مدين بالاتجاهات الأدبية التى صنعتها ندوة العلماء و رجالها و لا يزالون .

وأجدر بنا أن نشير فى هذه المناسبة إلى نقطة مهمة و هى أن ندوة العلمـاء استطاعت أن تبتكر أسلوباً دعوياً رصيناً فى الأدب العربى الحديث ، جديراً بأن يسمى أسلوب الدعوة و أدب الدعاة لا يمكن أن يتغاضى عنه مؤرخ الأدب العربى المعاصر كلما أرخ للادب العربى الحديث .

وقد كان هذا الدور الأخير لندوة العلماء من أخصب أدوارها وأزكاها فقد

تخرج جيل كبير من الأدباء البارعين يجدر بالذكر منهم الأدباء الدكتور عبد الله عباس الندوى أستاذ الأدب العربى بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، والأستاذ محمد الرابع الندوى رئيس كلية اللغة العربية بجامعة ندوة العلماء والأستاذ محمد الحسنى رئيس تحرير مجلة البعث الاسلامى ، والأستاذ واضح رشيد الندوى رئيس تحرير جريدة الرائد والدكتور عبدا لحليم الندوى رئيس القسم العربى بجامعة حيدر آباد ، و الأستاذ محمد رضوان الندوى أستاذ اللغة العربية بجامعة بنغازى ليبيا والأستاذ محمود الحسن الندوى مدير القسم العربى بالاذاعة الهندية سابقاً و الأستاذ محمد راشد الندوى أستاذ اللغة العربية بالقسم العربى بجامعة عليكراه ، والدكتور احتشام الندوى رئيس القسم العربى بجامعة كاليكوت الهند والدكتور محمد اجتباء الندوى رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية بدلهى ، و الأستاذ السيد محمد لقمان الندوى مدرس اللغة العربية فى حائل السعودية و الدكتور محمد إسماعيل الندوى أستاذ الأدب العربى بجامعة قسنطينة الجزائر والأستاذ حبيب ريحان الندوى أستاذ اللغة العربية بمدارس ليبيا والأستاذ ضياء الحسن الندوى أستاذ اللغة العربية بالجامعة الملية دلهى ، والأستاذ محمد لقمان خان الندوى أستاذ اللغة العربية فى ليبيا و الأستاذ محمد يونس الندوى أستاذ اللغة العربية بجامعة لكناؤ و غيرهم من أدباء اللغة العربية و كتابها البارزين .

و قد نشطت مؤخراً . . . حركة تعلم اللغة العربية وتعليمها فى الهند حكومة و شعباً و رجالا و نساء ، و لوحظ تقدم ملموس فى جميع الاتجاهات الأدبية العربية فى هذه البلاد ، و توسع نطاق الأدب العربى فى المجالات العديدة فى الصحافة و الاعلام و المدارس و الجامعات ، و فى المراكز العلمية و الدعوية ، و ذلك الذى يبعث الأمل فى تنمية هذه الاتجاهات الأدبية العربية و تقويتها فى هذه البلاد .

و لكن الدور الذى مثلته ندوة العلماء فى إعادة الثقة بالأدب العربى وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة و استخدامه فى محله الصحيح إنما هودور مهم جداً لا ينساه تاريخ الهند العلمى و الأدبى و الفكرى .

و يسعدنى أن أنهى هذا البحث الوجيز بكلمة لأستاذنا الكبير العلامة الندوى الذى يتحدث فيها عن وجهة نظره نحو الأدب العربى ومكتبة الأدب العربى واستعراضها ودراستها من جديد يقول :

« إن مكتبة الأدب العربى فى حاجة شديدة إلى استعراض جديد وإلى دراسة جديدة و إلى عرض جديد .

ولكن هذه الدراسة وهذا الاستعراض ، يحتاجان إلى شئ كبير من الشجاعة وإلى شئ كبير من الصبر والاحتمال وإلى شئ كبير من رحابة الصدر وسعة النظر فالذى يخوض فيها ليخرج على العالم بتحف أدبية جديدة و ذخائر عربية جديدة ، ينبغى أن لا يكون ضيق التفكير ، جامداً متعصباً فى فهمه للادب ، متعصباً لبلد أو لطبقة أو لعصر ، تهوله ضخامة العمل ، و اتساع المكتبة العربية ، أو يوحشه عنوان دينى أو بمنعة - من الاختيار و الدراسة - اسم قديم لاصلة له بالأدب والأدباء يجب أن يكون حر التفكير . واسع الأفق ، بعيد النظر ، متطلعا إلى الدراسة و التجربة ، واسع الاطلاع على الكنوز القديمة ، يفهم الأدب فى أوسع معانيه ويعتقد أنه تعبير عن الحياة وعن الشعور والوجدان فى أسلوب مفهم مؤثر لا غير .

إننى لا أزدرى كتب الأدب القديمة - من رسائل و مقامات و غيرها و لا أقلل قيمتها اللغوية و الفنية و أعتقد أنها مرحلة طبعية فى حياة اللغات و الآداب ، و لكنى أعتقد أنها ليست الأدب كله و أنها لاتحسن تمثيل أدبنا العالى الذى هو من أجمل آداب العالم و أوسعها ، و أنها جنت على القرائح و الملكات

« البقية على ص ٨٦ »

هذه الانتفاضة الاسلامية

محمد الحسنى

قال رسول الله ﷺ : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، ألا ، فتعرضوا لها ! جال فى خاطرى هذا الحديث وأنا استعرض - فى مخيلتى - هذه الانتفاضة الاسلامية العامة التى بدت طلائعها فى كل مكان ، و خاصة فى باكستان و تركيا وإيران و أفغانستان ، و كان الأولى و الأجدر ، و أقرب إلى الطبيعة و الواقع ، و أثلج للصدور إذا رأينا « الجو العربى » مدوياً بهتاف (الله أكبر) ، و شعار (الله غايتنا ، و الرسول قائدنا ، و القرآن دستورنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا) ، كان المنتظر ، و كان المتوقع أن نرى القاهرة ودمشق و بغداد ، تتزعم هذه الحركة الاسلامية العالمية ، و تحمل رايتها وتتخذ شعارها الوحيد : إلى الاسلام من جديد .

و خق للعالم العربى أن يتمثل ببيت الشاعر العربى عمرو بن كلثوم .

صبنت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و ما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

إذا تمثل العالم العربى بهذا البيت كان على حق . . فقد كان الواجب اللائق أن ترتفع هذه الموجة المباركة من أرضه الطاهرة . . وأن تبدأ هذه النفحة الايمانية من بلادها العزيزة ، ثم تعم شذاها البلاد الاسلامية كلها . . . وأن تكون هذه البلاد أسوة و قدوة تضئ معالم الطريق ، وتنير مسالك الحياة . وتذلل الصعاب

و العقبات . . ولكن ذلك وجه قاتم من الصورة . . أما الوجه المشرق من هذه الصورة . . فهو أن المملكة العربية لا تزال فى موضع السبق و القيادة فى تنفيذ حدود الله و الاعلان بالاسلام و حكم الاسلام من غير معذرة و إحجام . . . و لا تزال مصر مصدر قوة ، و مركز أعصاب فى العالم العربى كله . . و هى قادرة - بتصحيح مسيرتها وتغيير سياستها بأن تنفخ فى العالم العربى كله روح الايمان و التضحية ، والبسالة و الاقدام ، و المغامرة و الطموح . . . و هى تستطيع - إذا ضمت إلى صدرها أعز أبنائها وأبرهم و أكرمهم و أتقاهم و أسبقهم إلى الجهاد و الشهادة و أزهدهم فى الغنيمة ، و هى تعرفهم معرفة الأب ابنه و الأم ولدها - أن تحول هذه « القوة النائمة » أو « القوة الضائعة » أو « القوة المشلولة » إلى كهرباء تنور العالم العربى كله . . و إلى خزان ماء يسقى العالم العربى كله .

هذا الوجه المشرق لهذه الصورة المزعجة من ناحية ، السارة المبشرة من ناحية أخرى تدلنا على يقظة إسلامية فى شعوبها المؤمنة ، . رغم المؤامرات و الخيانات و الضغط و الارهاب ، و رغم أسباب الفتنة و الاغراء التى أحاطت بها من كل جانب ، إن فى نظرة هذه الشعوب العربية المؤمنة شيئاً من احتجاج ، و شيئاً من عتاب ، وشيئاً من تحد وإصرار ، على العودة إلى الاسلام . . إنها تريد أن تنطلق . . وتتعرض لهذه النفحات الربانية التى لاتحدد أوانها . . ولكنها نسائم كنسائم خير وهدى ، و رجاؤنا من قياداتنا العربية أن لا تحول بينها و بين هذه النفحات الايمانية . . . وأن تدعها تتعانق مع شعوبها العجمية المسلمة التى كانت عالة عليها فى الهدى والايمان ، و أن تبادر بأخذ زمام القيادة و المراقبة ، و لا تقف موقف المتفرج ، فلايدرى أحد متى تهب هذه النفحات و متى تنتهى ، و أين تبدأ وأين تعود ، المهم أن لا تتخاذل ، أن لا ندع إخواننا وحدهم فى المعركة . . و أن نلمس أعماق القضية

بدلا من أن نطوف حول قبابها ، كما كان سندباد يطوف حول بيضة نعامة هائلة ولا يجد إليها سبيلا . . . ، و أن لا تتأخر عودتنا إلى الاسلام زمناً غير يسير فنبقى فى ذيل الركب ومؤخر القافلة التى انطلقت بفضل الله ، و هى فى حاجة إلى كل تضامن و تعاون و كل حيطة و حذر ، و يقظة و وعى ، و حراسة و خفارة فالمفازة بعيدة ، و الصفوف موزعة - و الأعداء كثيرون !

و الثقة بالله هى رأس مالنا و الأخوة فى الله درعنا و سلاحنا و تعرضنا لنفحات الله أقوى آمالنا .

أأترك سنة حبيبى لهؤلاء الحمقاء ؟

هذه الجملة الخالدة قالها سيدنا سلمان الفارسى ، سلمان ابن الاسلام لا ابن الأصنام القومية و الوطنية ، والحضارات الصناعية و الفلسفات الوضعية ، قالها وهو يتناول طعاماً فى بغداد ، و معه عبد فارسى ، إذ سقطت من يده لقمة فأخذها و نظفها ، وتناولها ، فقال العبد الفارسى ، إن هذه البلاد بلاد الأغنياء والمؤسرين و إنهم ينظرون هذه الأمور بنظرة احتقار . . فرد عليه سيدنا سلمان قائلا : « أأترك سنة حبيبى لهؤلاء الحمقاء ؟

و أعتقد أنه مثل بهذه الجملة الخالدة التى لم تنل من كتابنا المعاصرين العناية اللائقة - روح الثقافة الاسلامية و جوهر الحضارة الاسلامية التى تقوم على سنة سيدنا و مولانا محمد ﷺ .

إن سنة محمد ﷺ ، تعنى ثقافة محمد ﷺ ، وحضارة محمد ﷺ ، فلا يجوز أن نأخذ عقيدته و نترك ثقافته و حضارته ، نأخذ كتابه و نترك حياته ، نأخذ

هدفه و غايته ، و نترك ذوقه و منهجه أو نحتقر - لا قدر الله ذلك - بعض عاداته و شمائله .

إن للاسلام ثقافة و لكنها ثقافة قرآنية . فقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، و إن للاسلام حضارة ، ولكنها حضارة إلهية ، و إن للاسلام « مجتمعاً » و لكنه مجتمع ربانى . . و إن الذين يريدون أن يفصلوا الاسلام عن الثقافة و الحضارة ، و عن الاجتماع و السياسة ، و يقطعوا صلته بالمجتمع و البرلمان ، و المحكمة و الادارة ، و الاقتصاد والتجارة لا يفعلون ذلك إلا جهلا بالاسلام و يأساً من عودته ، و هو عائد إن شاء الله ، و قد سمعنا وقع أقدامه فى بعض البلاد الاسلامية البعيدة عن معاقل العروبة و الاسلام ، أو يفعلون ذلك خبثاً فى نفوسهم ، و مرضاً فى قلوبهم .

و الاسلام فى كلتا الحالتين ، واقف على أقدامه ، مرفوع الهامة . . ثابت الخطى ، رابط الجأش ، يفتح عينه لكل قضية ومشكلة ، و لا يفر عن معترك الحياة الصاخب العنيف ، بل يواجهه ، حاشا لله ، بل يفرض عليه رأيه وكلمته ويقوده طوعاً أو كرهاً إلى غاياته العظيمة التى تتوقف عليها سعادة البشر فى الدنيا و الآخرة .

وذلك معنى الحديث الشريف ، «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده» .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» .

لذلك فان الدعوة إلى الاسلام من غير حضارة وثقافة ، وآداب ، وملامح و سمات و قسمات - و هى ما نسميها فى المصطلح الاسلامى بالفرض و الواجب

و المستحب و المندوب و المباح مثـــلا ، و فيها درجات متفاوتة كما يعرفها أهل العلم - دعوة إلى إسلام ما له قوائم ، أو إسلام ماله أرجل و أعضاء و جوارح أو إسلام ماله مأوى أو مسكن .

أيها اللاهثون وراء الغرب من غير روية وتفكير وتعقل . . إرفقوا بنفوسكم ، إرفقوا بشعوبكم المؤمنة . . ارحموا هذا التاريخ الجديد الذى دخل فى دور التكوين ، ارحموا مستقبل الأجيال المسلمة التى تنتظر منكم وقفة كريمة حرة مشرفة فى هـــذه المرحلة الحاسمـــة من التاريخ ، إن القرن الهجرى الجديد الذى سوف نستقبـــله إن شاء الله فى زمن غير بعيد يترقب من ساستنا و قادتنا و ضباطنا و شبابنـــا ، والمشرفين على إعلامنا فى العالم العربى أن يقودوا هذا الركب المبارك ، أن يأخذوا زمام هذه القافلة الاسلامية أو يخلوا سبيلها على أقل تقدير .

« بقية المنشور على ص ٨١ »

الكتابية ، و المواهب و الطاقات وعلى صلاحية اللغة العربية ، ومنعت من التوسع و الانطلاق فى آفاق الفكر و التعبير و التحليق فى أجواء الحقيقـــة و الخيال ، و تخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية و الأدب الغنى فترة غير قصيرة ، نخير لنا أن نعطيها حظها من العناية والدراسة ، ونضعها فى مكانها الطبيعى فى تاريخ الأدب وطبقات الأدباء ، وأن ننقب فى المكتبة العربية من جديدونعرض على ناشئتنا و على الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للادب العربى حتى يتذوق جمال هذه اللغة و ينشأ على الابانة والتعبير البليغ ، و يتعرف بهذه المكتبة الواسعة ويستطيع أن ينفيد منهـا » .

لقاءات و مشاهدات فى رحـــلة علمية

لجمهورية مصر العربية

— ٧ —

سعيد الأعظمى الندوى

تلقينا تعليمات من سماحة أستاذنا العلامة السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى حول زيارتنا للريف المصرى والمدن المصرية التى لها تاريخ ودور فى مجال العلم والدعوة ، إنه أكد علينا أن لا يفوتنا الانتفاع بزيارات المـــدن و القرى و الاتصال بالشعب المسلم فيها ، واتفقنا مع الاخوة الكرام حول زيارة الاسكندرية و طنطا وحلوان ، و بورسعيد ، و الاسماعيلية ، و آثرنا زيارة الاسكندرية أولا و هيأ لنـا الأخ العزيز حسين أحمد سيارة خصوصية لأحد أصدقائه لكى تكون الرحلة مريحة و ممتعة و نستطيع أن نزور عليها آثار المدينة و معالمها ، و فى صباح أحد أيام الأسبوع الثانى من شهر يونيو توجهنا إلى الاسكندرية و معنا الأخوان الكريمان الأستاذ عبد النور و الاستاذ نذر الحفيظ الندويان و مررنا فى الطريق بالأرياف و القرى و بعض المدن الصغيرة ، كمدينة « قها » و « طوخ » و « بنها » و « قويسنا » ولما وصلنا إلى طنطا ودخلنـا المدينة قصدنا مسجد السيـــد بدوى الذى يعتبر من أهم الشخصيات المصرية ، و يزوره الناس بين محب له ومستغيث به ، ودخلنا المسجد فاذا بجماعات مختلفة و مختلطـــة بالرجال و النساء و الولدان ، تقيم فى طرف من المسجد وبالجزء الذى يلى ضريح السيد بدوى رحمه الله ، و قد ساءنا - شهد الله - هذا المنظر و أحسسنا بألم يعصر القلب من أجل تلك البدع و الخرافات التى كانت تمارس علنا فى ذلك المكان ، أما نحن فقد جددنا الوضوء و صلينا فى ناحية من

من المسجد ركعتين ، ثم زرنا القبر فرأينا ما رأينا من الطواف و الضراعة والاستغاثة ، و بعد ما دعونا لصاحب القبر وسألنا الله حسن الخاتمة خرجنا من مقصورة القبر و جلسنا فى المسجد برهة من الوقت ، و بدا لنا أن نتنفس قليلا فى أجواء مدينة طنطا فأخذنا جولة فى بعض الأسواق و الشوارع القريبة ، ثم رجعنا إلى مكان السيارة و استأنفنا السير نحو الاسكندرية التى تبعد من القاهرة ٢٢١ كيلو متراً .

كنا نمر بالحقول الخضراء و المزارع الزاهية على طرف الشارع كانت تتخللها فروع النيل ، وأشجار ذات ألوان و أزهار ، و سكة حديد تسير عليها القطر ذات اليمين ، و كل ذلك يزيد المنظر روعة و جمالا ، وما زلنا نتمتع بهذا المنظر الجميل طوال الطريق إلى الاسكندرية ، حتى فوجئنا خلال هذا الجمال الساحر و المنظر الفاتن بأننا فى الاسكندرية ، و قبل كل شئ توجهنا إلى الجامعة حيث أوصلنا خطاب فضيلة الشيخ محمد على الهرفى إلى أحد أساتذتها فى كلية الآداب ، ولقينا هنا بعض الطلاب الذى استوقفناهم بأزيائنا الهندية و هيئتنا الدينية ، و سألونا عما إذا كانت لنا حاجة و سألناهم عن عنوان المرسل إليه فساعدونا فى الوصول إليه .

ومررنا فى العودة من الجامعة على شارع الكورنيش الذى يعتبر من أجمل وأكبر الكورنيشات فى الشرق الأوسط كله وكنا متجهين إلى نادى الأسبورتج فى الابراهيمية حيث يسكن الداعى المعروف بالمهندس محمد توفيق مؤسس جماعة تبليغ الاسلام و رئيس تحرير « البريد الاسلامى » ، و كنا نعرفه منذ زمن بعيد حينما كان يراسلنا فى شأن الدعوة بواسطة مجلة البعث الاسلامى ، و وصلنا إلى منزله وأخبرناه بقدوم أخوة له من الهند و استقبلنا بغاية من الفرح و رحب بنا و كانت دلائل السرور بادية على وجهه ، و لما علم أننا من تلاميذ العلامة الندوى و من ندوة العلماء

و أعضاء أسرة مجلة البعث الاسلامى و الوافد تزايد سروراً و بشراً ، و طلب منا أن نقيم عنده لمدة أيام و لكننا اعتذرنا نظراً إلى قلة الوقت و الارتباطات الأخرى فى القاهرة ، وتحدثنا معه حول نشاطه فى الدعوة وقلنا إن صحيفتكم « البريد الاسلامى » تحمل إلينا أنباء نشاطكم و جهودكم فى مجال الدعوة ، و طلبنا منه أن يشرح لنا مدى نجاحه فى هذا العمل و أسلوبه فى الدعوة و وسائله فى نشرها ، فتفضل بايجاز بما يلى :

بدأت هذا العمل بتأسيس جماعة تبليغ الاسلام فى عام ١٩٢٨م ، و جل ما اعتمدت عليه هو توجيه دعوة الاسلام إلى غير المسلمين فى أوربا وأمريكا بوجه عام بطريق المراسلة ، وأول شخص اهتدى إلى الاسلام هو رجل من تشيكو سلافيا ، وقد وفقنى الله بالاشتغال بهذا العمل من غير وسائل ظاهرة وظللت قائماً به من ذلك الوقت حتى أسلم ٣ آلاف شخص إلى الآن ، و قد بذلت فى إسلام رجل ألمانى ١٧ عاماً متتالية و ما تركته حتى اعتنق الاسلام بعد مجهود طويل ، و لكنه أسلم فأخلص ، و جاءنى لكى يلقانى و قضيت معه وقتاً فى الأسكندرية و القاهرة أعيش معه فى مجتمعات المسلمين .

و المهندس محمد توفيق رجل مخلص جداً يشتغل بخدمة الاسلام بهذه الطريقة و فى صمت وإخلاص ، من غير أن تكون هناك دعايات وإعلانات ، إنه قام بنشر بعض الرسائل و الكتيبات الصغيرة فى عدة لغات تشرح الاسلام و يستعين بها على تربية المهتدين الجدد ، ثم إنه رجل متواضع جداً و عنده من الحكمة و النشاط فى مجال الدعوة ما لا يوجد لدى كثير من علماء ودعاة الاسلام ، و كان مقبلا علينا بأحاديثه الغذبة و لهجته الطيبة ، و أخلاقه الدمثة طوال لقائنا معه ، و ما قصر فى الاحتفاء بالاكرام و العطف والحب ، كأنه كان منا على ميعاد ، وقلما أحسسنا

بالأنس و الانسجام فى مكان ما بمثل ما أحسسنا معه ، ولما استأذناه و أردنا أن تودعه إلى لقاء آخر باذن الله تعالى بدا كأنه لا يرضى بأن نغادره ، ولكنه أذن لنا على مضض ، و لما ودعناه و خرجنا من المنزل و ركبنا فى السيارة إذا به يحيينا باشارة من يده من فوق سقف المنزل ومازال يفعل ذلك حتى حالت دوننا المبانى .

أشار علينا حضرات الاخوة أن نصلى الظهر أولا فى مسجد لعله كان معروفاً بمسجد النبى دانيال و نتغدى بعد ذلك فى أحد المطاعم بالكورنيش ، و إن كان المهندس محمد توفيق قد عرض علينا الغداء إلا أننا لم نر من المصلحة قبول ذلك، خاصة و قدكنا خمسة أفراد عدا السائق ، ولمسنا أن المطاعم هنا لا تتميز بصاحبها هل هو لمسلم أو نصرانى ، و أن القائمين بالخدمة فيها رجال و نسوة على السواء و النسوة الخوادم فى معظم الأحول مسيحيات ، بل الحق أن التميز بين المسلم و النصرانى هنا صعب .

و مررنا بعد الانتهاء من الغداء على شارع الكورنيش من الانفوشى إلى المنتزه و تفرجنا قليلا على الشاطئ و رأينا هنا بلاجات على نطاق واسع يجتمع فيها الرجال و النساء و الولدان للاستحمام و قضاء وقت فى جو من الحرية بعيدين عن كل احتشام ، و لم يكن هذا مما يرضاه الحياء والحشمة ، و دخلنا حديقة المنتزه على الشاطئ وتفرجنا فيها قليلا ورأينا مساكن الوزراء وأصحاب الحكومة ممن يأتون إلى الاسكندرية و يقيمون فيها لقضاء أوقات الصيف و التمتع بالمناظر الجميلة و سحر الطبيعة لوقت ما ، وعدنا من الحديقة بنفس الطريق و قد شاهدنا وحدات على الشاطئ تشرف على الاستحمام وخلع الملابس العادية للدخول فى ماء البحر ، وقرأنا على بعض المبانى لوحات مكتوباً عليها « وحدة خلع الملابس » وعلى كل فقد تألمنا بهذه الأمور و غزو المدنية الأوربية إلى عقر الديار .

وحان وقت العصر فتوجهنا إلى مسجد أبى العباس و صلينا فيه صلاة العصر مع الجماعة وقضينا وقتاً لا بأس به فى المسجد ثم خرجنا وزرنا مسجد الأباصيرى و وقفنا على قبره و دعونا له ، و اتفق رأى الجميع على العودة إلى القاهرة فى المساء ، فلم يتسع لنا الوقت لزيارة المعالم و الآثار الأخرى على أن فى الاسكندرية كثيراً من الأمكنة ذات الأهمية التى يزورها السياح كلما يقدمون إليها ، كالقلعة ، و المتاحف العديدة ، و جديقة الحيوانات و المصانع ، و ودعنا الاسكندرية فى المساء و وصلنا إلى طنطا بعد مضى طائفة من الليل وعرجنا عليها وصلينا العشاء فى أحد المساجد ، و تعشينا فى مطعم ، ثم واصلنا السير إلى القاهرة و وصلناها بعد منتصف الليل فى سلامة الله .

أحببنا أن نسافر إلى حلوان فى يوم من الأيام فقد كنا نسمع عنها كثيراً و تكلمنا الاخوان فى الموضوع فأشار بعضهم أن نركب القطار الذى يقوم من باب الخلق . و هو قطار محلى يرحل بعد كل عشر دقائق ، و صحبنا الأخ الكريم الأستاذ نذر الحفيظ الندوى و الأخ فخر الدين أحمد ، و ركبنا القطار من محطة باب الخلق عصراً و هذا القطار أشبه شئ بالقطار المحلى فى بومباى ، و مررنا فى الطريق على ضواحى الجيزة و رأينا البيوت المبنية على طراز البيوت الريفية ، وكان منظراً حلواً ، و مرت بنا مصانع عديدة ، مصنع الاسمنت ، ومصنع السيارات ، مصنع الصلب و الحديد ، و المصانع الحربية ، و بعد ما سار بنا القطار نحو ساعة توقف على محطة حلوان و لقينا فى القطار أحد الاخوة الذى تعارفنا معه و هو نحام يعمل فى وظيفة فى القاهرة و يرجع كل مساء إلى حلوان حيث يسكن أخوه، و طلب منا و ألح علينا أن نصطحبه إلى بيت أخيه و نبيت عنده ، و ذهبنا إلى

منزله ولقينا أخاه الكريم الذى هو موظف فى السعودية ، و فرح بلقائنا و رحب بنا و قدم من الضيافة المستعجلة ما أمكن ، و طلب منا أن ننزل عنده ، و لكننا اعتذرنا وفضلنا العودة إلى القاهرة فى نفس الليلة نظراً إلى بعض الأعمال التى كانت تطلب وجودنا فى القاهرة صباح الغد .

و لما خرجنا من منزل الأخ المحامى تجولنا معه ما قدر لنا فى حلوان ومشينا على شارع المحطة متجهين إليها وهو معنا ، وبعد برهة وجدنا قطار القاهرة وما فارقنا الأخ الكريم حتى تحرك القطار فودعنا على بركة الله ، و قد فاتنا فى حلوان أن نشاهد المتحف الزراعى ، و الحديقة اليابانية فقد مررنا بقرب منها ، و أهم شئ فى حلوان هو العيون الكبريتية وحماماتها التى رأيناها من القطار وما تمكنا من زيارتها ، و كذلك جامعة حلوان لم نستطع زيارتها نظراً إلى أن الوقت لم يكن مناسباً لها .

كان أخونا الكريم الأستاذ نذر الحفيظ قد اتفق مع سكرتارية فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرية سابقاً و رئيس جمعية الشبان المسلمين حالياً ، اتفق على زيارتنا له ، و أخذ من السكرتير موعداً لنا فى مبنى الجمعية ، وتهيأت بوحدى للذهاب إلى جمعية الشباب المسلمين مع الأستاذ نذر الحفيظ الندوى لأن الأخ الكريم الأستاذ واضح رشيد الندوى لم يتمكن من الخروج اليوم إنجازاً لبعض الأعمال الضرورية فاعتذر ، و خرجنا من مدينة البعوث نحو ميدان التحرير راكبين على السيارة و لكن الجمعية تبعد عن ميدان التحرير بمسافة فمشينا منه على الأقدام و وصلنا إلى المبنى ولقينا السكرتير وقدمنا إليه بطاقة التعريف وأخبرنا بالموعد فاتصل بفضيلة الشيخ الباقورى الذى رحب بنا و دعانا إلى غرفته ودخلت إليه وحدى والأخ الأستاذ نذر الحفيظ ظل فى غرفة السكرتير ولا أدرى لماذا لم يحضر المقابلة معى ، و لما تم التعارف و أخبرته بأنى من تلاميذ سماحة الشيخ الندوى

و جئنا إلى القاهرة على دعوة من شيخ الأزهر أنا و الأخ الأستاذ واضح رشيد الندوى كممثلين لندوة العلماء فرح بذلك و بدأ يتحدث عن لقاءاته مع سماحة الشيخ الندوى و علاقته معه ، و ذكرياته يوم كان سماحة الشيخ الندوى موجوداً فى القاهرة ١٩٥١م ، و سألته عن نشاطه فى الدعوة فذكر ما يقوم به من عمل فى مجال الدعوة بطريق جمعية الشبان المسلمين ، وأهدى لى بعض مؤلفاته ، وبعض الأعداد من مجلة « الشبان المسلمين » وذكر لى أنه فى لجنة من علماء الأزهر كان عليها اختيار من هو أحق بجائزة فيصل للدعوة الاسلامية اقترح اسم سماحة الشيخ الندوى لنيل الجائزة ، وقال على سبيل المزاح : إن الشيخ الندوى إذا نال الجائزة فليقدم لجميعتنا قسطا منها ، وقلت له : إننى سأبلغ رسالتكم هذه إلى سماحته إن شاء الله ، و قد فعلت ، وبعد أن قضينا معه وقتاً طيباً فى حديث أخوى جميل استأذناه و تودعنا على اسم الله .

فوجئنا قبل يومين من مغادرتنا القاهرة بأن تأشيرة المملكة العربية السعودية التى قد حصلنا عليها قبل أسبوعين تنتهى مدتها اليوم ، و لا يمكن السفر بدون تجديدها أو تمديدها ، و أفزعنا ذلك و اتصلنا بالقنصلية و لكنها كانت مغلقة من أجل يوم الجمعة ، وتزايدت قلقاً خشية أن لا تسنح فرصة التمديد والمقاعد محجوزة فى الطائرة السعودية إلى المدينة المنورة ، فماذا سنفعل إذا لم يتم الأمر ، و جاء الأخ حسين أحمد فتولى الموضوع وقال : إنه سينهيه غداً باذن الله تعالى ، وفعلا سهل الله تعالى المشكلة وجددت التأشيرة لمدة أسبوعين .

خرجنا صباح السبت ١٢/ من رجب ١٣٩٨ه إلى مكتب الامام الأكبر رجاء أن نزوره و نقدم إليه مشاعر الشكر و التقدير على هذا الاهتمام الذى نلناه من قبله والحفاوة التى حظينا بها طوال إقامتنا فى مصر ، ولما زرنا فضيلة الامام

الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود (١) (رحمه الله) رأينا آثار النقاهة بادية على وجهه و قد أنهكه المرض ، ولكنه تلقانا ببشر وجلسنا عنده ساعة مع كثير من زواره و محبيه ، و أخبرناه بقصد المغادرة و السفر إلى الهند ، و شكرنا ما استطعنا من الشكر و التقدير ثم ودعنا على بركة الله .

وتوجهنا من عنده إلى وزارة الأوقاف حيث كنا متواعدين اللقاء مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وزيراً للأوقاف و شئون الأزهر (٢) ، و تلقانا فضيلته بترحاب و حرارة ، و عرفنا أنفسنا إليه و قدمنا له بعض مؤلفات سماحة الشيخ الندوى والعدد الممتاز «حيرة الشباب المسلم» لمجلة البعث الاسلامى فقلبها بتقدير وقلنا له : إن ندوة العلماء كانت قد وجهت إليكم دعوة الحضور فى مهرجانها التعليمى الذى أقامته بمناسبة مرور ٨٥ عاماً على تأسيسها قبل ثلاث سنوات ، فقال لو لا أن ارتباطى بالعمل و المواعيد حال دون ذلك لحضرت المهرجان ، و تحدثنا حول ندوة العلماء و دورها فى مجال الدعوة الاسلامية و التعليم و التربية ، و ما حققته من نجاح فى نشر اللغة العربية و تطوير الأدب العربى فى الهند بوجه خاص ، إنه سألنا عن العلاقة بين الأستاذ الندوى والأستاذ المودودى ، وبدا لنا فى الأخير أن نتحدث عما شاهدنا فى مدينة البعوث الاسلامية من قلة الاهتمام بتربية الطلاب وإهمال شأنهم فى الدراسة و التعليم ، و رجونا أن تلتفت وزارة الأزهر إلى هذه الناحية المهمة لأن الجانب التربوى أهم و أقدم من التعليم ، و إذا تخرج هؤلاء الناس من الأزهر و هم يحملون شهادات عالية فى الشريعة و أصول الدين و الفقه

(١) توفى رحمه الله تعالى فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٨م عقب عملية جراحية فى مستشفى القاهرة وعين محله شيخاً للأزهر فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار .

(٢) و وزير الأوقاف الحالى هو فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر .

الاسلامى والأخلاق الاسلامية من غير أن تكون لديهم سيرة تمثل هذه الجوانب لا يستطيعون أن ينفعوا الناس فى أوساطهم بل و قد ينعكس الأمر ، وأخبرناه كيف أن الطلاب فى مدينة البعوث يشتغلون بأمور لا تعنيهم ، و يقضون أوقاتهم الثمينة فى غير محلها .

و استمع ما قلنا له بصبر و أناة و وعد بالاهتمام بالموضوع ، و سألنا فى الأخير ، وكنا قد أهدينا له ضمن الكتب رسالة لأستاذنا العلامة الندوى « الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعتراف » من هو ذلك الامام ؟ و هنالك تحدثنا عن الامام الشهيد أحمد بن عرفان الذى قاد الثورة الدينية ضد السيخ و الانكليز فى القرن الماضى فى الهند و وفق إلى تأسيس دولة إسلامية ، ولو لا أن غدراً ظهر من بعض المسلمين لكان لها شأن أى شأن .

كان الأخ الكريم الأستاذ طه عاشور دعانا اليوم على الغداء فاتجهنا من وزارة الأوقاف رأساً إلى دار الاعتصام و أخذنا الأستاذ طه معه إلى منزله فى مصر الجديدة ، و كانت المناسبة سارة فقد تجمع نخبة من العلماء و الاخوان وكان من بينهم فضيلة الشيخ محمد على الهرفى و طال المجلس إلى أن حان موعد صلاة العصر فصلينا معهم بعد الغداء و رجعنا إلى مدينة البعوث الاسلامية .

و فى غد ذلك اليوم عصراً كان موعد سفرنا إلى المدينة المنورة ، فبكرنا يوم السفر إلى دار الاعتصام حيث تحدثنا حول شحن الكتب إلى مكتبة ندوة العلماء و أخذنا منهم القائمة الأخيرة و تودعنا على اسم الله تعالى ، ثم ذهبنا إلى إدارة الأزهر حيث لقينا فضيلة الدكتور عبد الودود شلبى وقضينا معه وقتاً فى جو أخوى طيب و استأذناه فما تركنا إلا و قد طلب منا أن نذهب معه إلى مكان حيث

نشرب معه الشاى و القهوة ونجلس معه لوقت يكون تذكاراً جميلا . ثم قدم إلينا بعض الهدايا من الصناعة المصرية ، وكان قد أهدى نسخاً من كتاب « البحث عن الذات » للرئيس أنور السادات ، ثم تواعدنا إلى اللقاء الثانى باذن الله تعالى فى الهند أو فى مصر حيثما يقدر الله سبحانه و تعالى .

و مع الأسف الشديد لم نحظ بزيارة المدن الأخرى ، خاصة وكنا عازمين على أن نزور الاسماعيلية و بورسعيد وذلك لتضايق الوقت وعدم تواطؤ الظروف ، و عسى أن يتحقق هـذا الأمل فى فرصة أخرى فى المستقبل باذن الله .

و سلمنا على جميع الاخوة الذين تعرفنا إليهم أثناء الاقامة فى مدينة البعوث وتوجهنا برفقة إخواننا الندويين والهنود ، وفى مقدمتهم الأستاذ عبد النور الندوى ، و الأستاذ نذر الحفيظ الندوى و الأخ أبو سعد الندوى و الأخ فخرالدين والأخ صلاح الدين الندوى الذين ودعونا فى المطار ، و لا تنسى فى هذه المناسبة ما قام به إخواننا كلهم من حسن الضيافة و كرم الوفادة طوال إقامتنا فى مصر .

كما ولا ننسى ما لقينا من إخواننا الكرام الدكتور عبد الودود شلبى وفضيلة الشيخ الأستاذ حسن عاشور و الأستاذ حسين عاشور و الأستاذ طـه عاشور من تسهيلات و تعاون أثناء إقامتنا فى مصر .

و للجميع شكرنا وتقديرنا و دعاؤنا ، والله يتقبل من الجميـع ، و يجزى الجميع أحسن ما يمكن فى كل مكان .

معهد إسلامى كبير فى مدينة جيفور

لم تكن توجد فى الهند عامة و فى ولاية « راجستان » خاصة مؤسسة تعليمية تربوية عالية تقوم بتزويد الناشئة بما تفتقر إليه من علوم الشريعة الاسلامية العاليـة و أصول الدين القيمـة مع المشاركة فى العلوم العصرية النافعـة و مع تعليم الحرف و الصناعات ،

و كانت الحاجة ملحة إلى قيام معهد إسلامى تربوى خالص مع قيام مؤسسة صناعية كبيرة تستند إليها ليكفل الطلبة بعـد تخرجهم باكتساب معاشهم ، و يجمعوا بين الدين و الدنيا .

فقيض الله لهذا العمل الجليل فضيلة الشيخ محمد عبد الرحيم المجددى ، وصحت عزيمته على تأسيس مدرسة دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الدينى و إصلاح المسلمين الاجتماعى والخلقى و الجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء و أحزابهم خاصة .

أسس فضيلة الشيخ الجليل محمد عبد الرحيم المجـددى هـذه المـدرسة باسم « جامعة الهداية » بمدينة « جيفور » عاصمة ولاية « راجستهان » و وضع الحجر الأساسى لمبنى دار العلوم التابعة لجامعة الهداية سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى النـدوى فى ٢٢ شوال عام ١٣٩٦ هـ الموافق ١٧ اكتوبر ١٩٠٦ م .

وتنتسب جامعة الهداية إلى جد مؤسسها العالم الربانى « الشيخ محمد هدايت على » المجددى ، رحمه الله رحمة واسعة و أسكنه فسيح جنانه .

وأسس « جامعة الهداية » على أسس واضحة سليمة و أهداف جامعة شاملة تتلخص فى النقاط التالية :

أولا : إعداد منهاج دراسى شامل يسد حاجة العصر ويلائم الذوق الدينى الخالص من المرحلة البدائية إلى المرحلة العليا .

ثانياً : تخريج دعاة راسخين يتضلعون من روح الثقافة الدينية ، و يمتازون بمتانة فى الدين مع تسامح فى الخلافيات و الفروع ، و اطلاع واسع على شئون العصر ، ومحافظة على الشرع والتقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمة الاسلامية .

ثالثاً : الاعتناء بتدريس جميع العلوم سواء كانت دينية أو طبيعية فى ضوء التعاليم الاسلامية لكى ينشأ جيل مسلم واع يمتاز بالمؤهلات العلمية السامية ، ويتكفل بالنفوذ الاقتصادى لاحتلال مكانة مرموقة فى كل مجال من مجالات الحياة .

رابعاً : الاعتناء بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل ،

خامساً : الاعتناء بتعليم الحرف و الصناعات لكى يكفل الطلبة بعد تخرجهم من هذه المدرسة باكتساب معاشهم و يجمعوا بين الدين و الدنيا .

مرحبا بشيخ الأزهر الجديد

تلقت ندوة العلماء نبأ تعيين فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن البيصار شيخ الأزهر الجديد بسرور بالغ و أرسلت الأمانة العامة لندوة العلماء برقية تهنئة إلى فضيلة الامام الأكبر الدكتور محمد البيصار راجية له دوام التوفيق و النجاح فى أداء هذه المسئولية الضخمة ، كما أرسلت برقية التهنئة إلى معالى وزير الأوقاف الجديد فضيلة الدكتور الشيخ عبد المنعم النمر الذى تم تعيينه وزيراً للاوقاف و شئون الأزهر أخيراً .

ونحن إذ نرحب بفضيلة شيخ الأزهر الجديد و بمعالى وزير الأوقاف وشئون الأزهر الجديد نبتهل إلى الله تعالى أن يجعل التوفيق حليفهما و النجاح رائدهما فى كل مناسبة .

معالى نائب وزير الحج السعودى يزور ندوة العلماء

قام نائب وزير الحج و الأوقاف السعودى معالى الشيخ عبد الله بوقيس بزيارة لندوة العلماء فى ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٧٩م ضمن جولته الرسمية للهند ، و بالمناسبة رحب بمعالى الوزير أعضاء ندوة العلماء و ألقيت كلمة تحية فى قاعة المحاضرات الرئيسية تفضل بالرد عليها معاليه وأبدى سروره وارتياحه البالغين بهذه الزيارة ، وقدم هدية قيمة لدار العلوم تتضمن نسخة قيمة من المصحف الشريف و قطعة ثمينة من كسوة الكعبة المشرفة ، وتكرم معاليه فقام بجولة فى الحى الجامعى و زار خلالها المجمع العلمى الاسلامى و معهد دار العلوم و جمعية اتحاد الطلاب و مر على بعض الصفوف وأعجب بالنشاط التعليمى و التربوى الذى شاهده فى مختلف أقسام دار العلوم .

و أقامت دار العلوم حفلة شاى على شرف الضيف المؤقر حضر فيها أعضاء ندوة العلماء و حضرات الأساتذة و وجهاء البلد .

صدر حديثاً

وصل إلينا الجزء الأول من كتاب « تيسير البيضاوى » لمؤلفه فضيلة الشيخ محمد شحاتة أبو الحسن مدرس التفسير بمعهد القضاء فى سلطنة عمان ، وقد بدأ تاليف هذه الدراسة توخياً تيسير الاستفادة من المراجع التفسيرية الأصيلة و إعادة صياغتها بما يناسب و روح العصر ، بحيث يجعل القارىء يقبل على هذا النور الربانى فيجد فيه حلا لجميع المشكلات التى تواجهه فى المجتمعات المعاصرة فى ضوء المفاهيم و التصورات الاسلامية .

و ندعو الله سبحانه أن يعين المؤلف على استكمال هذا التأليف فى باقى أجزاء القرآن الكريم .

تكرم فضيلة الشيخ عبد الله كنون باهداء مؤلفه القيم « إسلام رائد » إلى إدارة المجلة ، و هو مجموعة دراسات إسلامية لها قيمتها و أهميتها فى العصر الحاضر كما يظهر من عناوين المقالات مثلا « هل أصبح الدين فى العصر الحديث ظاهرة هامشية » ، « هذه الحروب الصليبية التى يشنها الغرب على الاسلام ما دلالتها » ، « الاسلام و القوميات » ، « الاسلام و المذاهب المعاصرة » وغيرها .

وإدارة المجلة تشكر لفضيلته هذه الهدية القيمة وترجو للكتاب الذيوع والقبول.

مرحبا بالزميلة العزيزة

تلقينا العدد الأول والثانى و الثالث من مجلة « الأمان » التى تصدرها المؤسسة الاسلامية فى بيروت ، بادارة وتحرير الشيخ محمد خضر و الشيخ إبراهيم المصرى ، والهدف الرئيسى من المجلة كما تقول فى افتتاحية العدد الأول ، أنها ستحمل إن شاء الله تعالى إلى القارىء الكلمة الصادقة المؤمنة ، سواء كان ذلك من خلال التحليل السياسى أو الدراسة الفكرية أو التحقيق الصحفى ، و تقول : و أملنا أن تكون صوت المؤمنين فى هذا البلد ، نحدو ركبهم ، ونحمل قضيتهم ، ونعبر عن آلامهم وآمالهم ،

و « البعث » إذ ترحب بالزميلة العزيزة ترجو لها كل ازدهار و تقدم .

سماحة الشيخ الندوى يعود فى سلامة الله

فى ٣ مارس ١٩٧٩م عاد سماحة الشيخ الندوى فى سلامة الله تعالى من رحلته إلى الأمارات المتحدة و المملكة السعودية و قطر ، التى استغرقت نحو شهر و نصف شهر ، و قد حضر سماحته خلال هذه الرحلة فى كثير من المناسبات الدينية و المواسم الثقافية الاسلامية و خاطب فيها الجماهير .

هذا ، ورافقه فى هذه الرحلة فضيلة الأستاذ محمد الرابع الندوى وكيل كلية اللغة العربية فى جامعة دار العلوم ، والأخ محمد حمزة الحسنى مدير مجلة « رضوان » الشهرية .